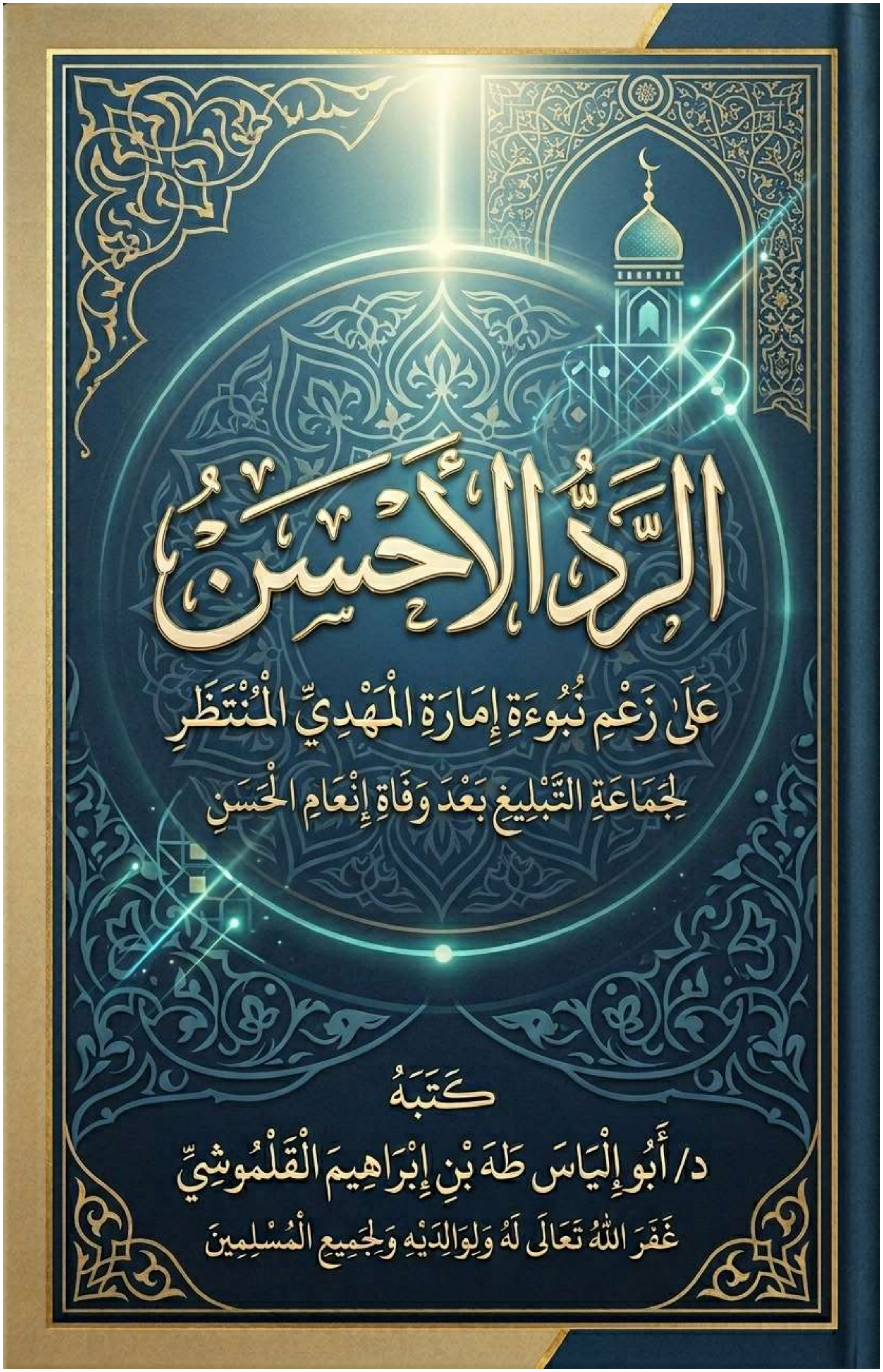

الرَّدُّ الأَحْسَنُ
عَلَى زَعْمِ نُبُوءَةِ إِمَارَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ
لِجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ وَفَاةِ إِنْعَامِ الْحَسَنِ
كَتَبَهُ
د/ أَبُو إِلْيَاسَ طَه بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَلْمُوشِيِّ
غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الرَّدُّ الأَحْسَنُ

عَلَى زَعْمِ نُبُوءَةِ إِمَارَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ لِجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ وَفَاةِ إِنْعَامِ الْحَسَنِ

كَتَبَهُ

د/ أَبُو إِلْيَاسَ طَهَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقَلْمُوشِيِّ

غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه التوفيق والإعانة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [1] {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[2] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا - يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[3] .

فإن أهم ما تصرف إليه الهمم وأشرف ما تشغل به النفوس وأجل ما يجتهد الإنسان في تحصيله وتصحيحه هو الاعتقاد ؛ لأنه العلم بالله تعالى وآياته، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، وكذلك العلم بالنبوات، وكل ما يتعلق بأمور الآخرة من بعث وجنة ونار. . . الخ.

وهذه هي المقاصد الثلاثة، التي نزلت بها الكتب السماوية، وأجمعت الرسل على الدعوة إليها.

ومن الإيمان بالغيب ما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم عن علامات الساعة التي تسبق ظهورها ، والتي منها ظهور المهدي محمد بن عبد الله ، الإمام العادل الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وقد وردت الأحاديث عن النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الشأن وتلقتها الأمة بالقبول وأجمعت علي اعتقاد خروج المهدي علي ما أتي في السنة الصحيحة.

قال الشيخ يوسف المقدسي : (فقد بشرت بظهوره أحاديث جمة، ودونتها في كتبهم علماء هذه الأمة، وإن الله تعالى يبعث من يمهد لولايته تمهيداً يتهدم له شوامخ الأطواد، ويجمع على موالاته الحاضر والباد، فيملك الأرض حزناً وسهلاً، ويملأها قسطاً وعدلاً، وتكشف له كنوزها

---

[1] سورة آل عمران الآية: 102.

[2] سورة النساء: الآية: 1.

[3] سورة الأحزاب، الآيتان: 70، 71.

عن الغظا، فيوقع فيها الفناء بالعطا، ويسلط جوده على الموجود، ويبطل الوزن والعدد في الموزون والمعدود، إلى أن يبلغ من نصر الإيمان وأهله قاصية البغية، ويلوي على أصابعه من قهر الطغيان وحزبه ناصية المنية، ويهزء الدين الحنيف علفيه طرباً، ويخمد نار الشرك نار الشرك ويولي حزبه هرباً.) [4]

وبعد: فالحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، وإنَّ أعظم القربات إلى الله تعالى الذبُّ عن حياض هذا الدين، ونفي زيف الغالين وانتحال المبطلين عن حملة مشكاته ودعاة منهجه، لا سيما في أزمانٍ كثر فيها الخبث، وتطاول فيها المرجفون بالأباطيل والكذب والافتراء على عباد الله الأبرياء. وإنَّ من أشد ما يُبتلى به المصلحون في هذا العصر هو ركوب البعض مركب الخصومة الفاجرة التي لا تفتقر فقط إلى الأمانة العلمية، بل تنسلخ من أبسط قواعد الإنصاف الشرعي، لترميهم بطوامٍ مهلكات في عقائدهم ومناهجهم دون بينةٍ أو برهان.

وإنَّ الدافع لتسطير هذه الصفحات هو ظهور شبهة باطلة وفِرية ظالم) روّج لها بعض أدعياء التحقيق، زاعمين كذباً وزوراً أن مشايخ حركة التبليغ والدعوة يعتقدون بنبوءات سحرية مستقاة من كتب الضلال كشمس المعارف الكبرى للبوني وكتاب الجفر الرافضي، بل وتمادوا في غيهم ليدّعوا أن نظام الشورى في الجماعة وتوزيع الإمرة ليس إلا انتظاراً للمهدي المنتظر الذي سيتولى قيادة الجماعة بناءً على طلاسم جفرية! وهي فريةٌ جمعت بين الجهل المركب والتقول على الغيب، إذ كيف يُحاكم منهجٌ سنيٌّ معاصر بكلمات ساحرٍ هلك قبل ثمانية قرون؟ وكيف يُرمى القوم بما لم ينطقوا به في وردٍ ولا صدر، ولم يُسمع في مجلس من مجالسهم قط؟

لذا، فقد اقتضت الأمانة العلمية والواجب الشرعي وضع هذا الكتاب؛ ليكون حصناً مانعاً ورداً حازماً يكشف زيف هذه الادعاءات ويبين تهافتها من وجوهٍ شتى؛ أولها بيان التناقض المنهجي التام بين أصول الدعوة القائمة على التوحيد وفضائل الأعمال وبين خزعبلات السحرة والمشعوذين، وثانيها إيضاح أن نظام الشورى المعمول به في الهند أو مصر -بعد وفاة الشيخ

---

[4] عقد الدرر في أخبار المنتظر ، للشيخ يوسف بن يحيى بن علي المقدسي الشافعي السلمي.

إبراهيم عزت وغيره من الأعلام- ليس إلا مصادفات تنظيمية تفرضها المصلحة الشرعية، ولا علاقة له بتلك الترهات التي لا توجد إلا في خيال المفتري المريض.

إنَّ هدفنا المحوري من هذا المؤلف هو رد الشبهة عن أهل التبليغ وبيان كذب قائليها بالدليل القاطع والحجة الدامغة، صيانةً لعقول المسلمين من أن تلوثها أقلام حاطبي الليل الذين يجمعون الشوك والسموم وينشرونها في الموسوعات والمجلات دون تمحيص. وإننا إذ نضع هذا العمل بين يدي القارئ المنصف، نبتغي بذلك وجه الله تعالى، حتى لا تكون فتنة ويكون الأمر واضحاً للجميع، وحمايةً لجناب الدعوة إلى الله من كيد الكائدين وافتراء المبطلين، سائلين المولى عز وجل أن يجعله ذخراً في موازين الحسنات، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

ولعل المتأمل في حال أهل الإسلام اليوم يجد أمةً غنيةً بموروثها، عزيزةً بدينها، لكنها تمر بمرحلة من التحديات الجسام؛ حيث تتلاطم أمواج الفتن، وتتكالب عليها الأمم، وتفرق شملها النزاعات، مما جعل الكثير من أبنائها يعيشون حالة من الغربة الروحية والبعد عن جوهر الرسالة، رغم امتلاكهم لكافة مقومات النهوض والريادة.

ووسط هذه الغمرات، برز الدعاة التبليغيون كشامةٍ في جبين العمل الإسلامي، حيث حملوا على عاتقهم دوراً محورياً في رفع الغمة عن الأمة ونشر ضياء الإسلام؛ فخرجوا من ديارهم باذلين أنفسهم وأموالهم، يطرقون أبواب الغافلين برفق، ويحيون في قلوب العاصين معاني الإيمان واليقين. لقد استطاع هذا المنهج البسيط في عرضه، العميق في أثره، أن يعيد الملايين إلى صفوف المصلين، وأن ينشر نور التوحيد في أصقاع الأرض التي لم تصلها الجيوش، فكانوا بحقٍّ سفراء هداية يعملون بصمتٍ لتجديد إيمان الأمة وربطها بخالقها عبر الأصول الستة وفضائل الأعمال.

ومع هذا الجهد المشكور، فإنه من سنن الله الكونية أن النقد والاعتراض لن يرتفع عن هذه الأمة حتى قيام الساعة؛ فقد أخبرنا النبي ﷺ في الحديث الصحيح: سألْتُ ربي ثلاثاً... وسألْتُه أن لا يجعل بأسَهم بينَهم، فمنَعنيها. وهذا يؤكد أن الاختلاف في وجهات النظر، وظهور المرجفين، وتطاول الناقدين سواء كان نقدًا بناءً أو افتراءً وظلمًا هو قدرٌ مقدور، ولن يسلم

منه داعٍ ولا مصلح، فالمعركة بين الحق والباطل، وبين المخلصين والشانئين، باقية ما بقي الليل والنهار.

لذلك، فإن ما يرمي به المرجفون أهل الدعوة من أباطيل كفرية المهدي أو طلاسم البوني ليس إلا حلقة في سلسلة هذا البأس والاختلاف؛ فالموفق هو من اشتغل بالعمل والبناء، وصمَّ أذنيه عن عواء المشككين، موقناً أن الحق أبلج وأن الله ناصر عباده المخلصين ولو بعد حين.

وأسميته (**الرَّدُّ الأَحْسَنُ عَلَى زَعْمِ نُبُوءَةِ إِمَارَةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ لِجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ وَفَاةِ إِنْعَامِ الْحَسَنِ**) يجمع بين الفصاحة والوضوح؛ فكلمة (الرد الأحسن) تحمل دلالة مزدوجة مشيرة إلى إحسان الرد وأدبه الشرعي من جهة مع اتفاقها مع اسم الشيخ (إنعام الحسن) رحمه الله الذي دارت حوله الفرية من جهة أخرى.

واعلم حبيبي في الله أنَّ الغرض الأسمى والمحرك الأساسي الذي أردناه من هذا البحث لم يكن تأصيل مسألة المهدي المنتظر من الناحية الفقهية أو الحديثية، ولا شرح أحاديثها أو تقصي رواياتها أو استيعاب كل ما ورد فيها من آثار؛ فهذا بابٌ قد كفانا إياه جهابذة العلماء وحفاظ الأمة قديماً وحديثاً في مصنفاتهم المشهورة.

وإنما جاء هذا الجهد في مقامه الأول ليكون دفاعاً شرعياً وذبّاً عن أعراض ثلة مؤمنة من أهل التبليغ والدعوة، الذين رُموا بالباطل واتُّهموا في عقائدهم زوراً وبهتاناً. فأردنا بهذا العمل تبرئة ساحتهم من تلك الفرى التي نُسبت إليهم بلا بينة، وكشف زيف الادعاءات التي حاولت ربط منهجهم الدعوي بخرافات باطنية أو نبوءات سحرية. فكان الهدف هو تقديم بيان شافٍ، وردٍّ علمي ومنطقي يقطع دابر التخرصات، ويُظهر للناس براءة هؤلاء الأبرياء مما نُسب إليهم، ليبقى هذا البحث منارةً للحق وصوتاً للإنصاف في وجه من استحلوا الكذب في الخصومة ، فما كان من توفيق فمن الله تعالى وحده صاحب الإنعام ، وما كان من زلل أو خطإٍ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان ، نعوذ بالله تعالى من غوايات الأنفس ونزغات الشياطين ، والله الموفق والمستعان ، ومنه وحده المدد وعليه التكلان .

وكتبه ، الراجي صلاح قلبه وعفو ربه الفقير إلى مولاه

أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي ، الأزهري المصري الشافعي السني .

غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

فصل فى ذكر عقيدة أهل السنة فى المهدى المنتظر .

لعل سائلًا يسأل: لِمَ سُمي المهدي بهذا الاسم؟ وما السر الكامن في هذا اللقب الشريف؟ والمتأمل في آثار العلماء يجد جملة من المعاني والدلالات؛ فقد رُوي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنما سُمي المهدي مهديًا لأنه يُهدى إلى أمرٍ خفي، حيث يستخرج صحائف التوراة والإنجيل من بلدة أنطاكية، وفي ذات السياق ذكر الإمام السيوطي أن وجه التسمية يعود إلى كونه يُهدى إلى جبل من جبال الشام، يستخرج منه أسفار التوراة الأصلية ليحاجج بها اليهود، فيكون سبباً في إسلام جماعات منهم وإذعانهم للحق.

أما من حيث اللغة والاشتقاق، فقد بيّن الإمام ابن الأثير أن المهدي هو الذي قد هداه الله إلى طريق الحق وبصّره به؛ فالمهدي إذًا اسمٌ على مسمى، فهو الرجل الذي اصطفاه الله وهداه للهدى، وثبته عليه بفضله، وأيده بجندٍ من عنده، ليغدو مناراً يهدي الأمة في أحلك ظروفها إلى طريق العزة والرشاد والتمكين، فنسأل الله العظيم أن يعجل بظهوره، وأن يجعله رحمةً للمؤمنين وحجةً على العالمين.

ذكر مجمل لعقيدة أهل السنة في المهدي :

لقد تظافرت أنوار الوحيين في الدلالة على هذه الحقيقة؛ فجاءت الآيات القرآنية بإشاراتها البليغة تومئ إلى ظهور المهدي، بينما استفاضت السنة النبوية المطهرة بتفصيل أحواله وبيان أوصافه، ليكون ظهوره في آخر الزمان وعداً صادقاً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فأما القرآن فقد قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في قوله تعالى: {لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [5] أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية؛ قتلهم وأسرهم وسباهم، فذلك الخزي.

---

[5] [البقرة:114]

وحكى القرطبي عن قتادة والسدي: الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي، وفتح عمورية ورومية والقسطنطينية وغير ذلك من مدنهم.

وقال الشوكاني: أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي وفتحت القسطنيطينية.

وعن مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [6] قال: هو المهدي في آخر الزمان، وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها.»

بعض الأحاديث الثابتة فِي الْمَهْدِي وأنه من علامات الساعة [7] :

روي البخاري في باب نزول عيسى بن مريم عن أبي هريرة قال : (قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ، وإمامكم منكم ؟).

وروى مسلم في كتاب الايمان من صحيحه عن أبي هريرة مثل حديثه عن البخاري ; ورواه أيضاً عن أبي هريرة بلفظ : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم منكم ؟» ، وفيه تفسير ابن أبي ذئب راوي الحديث لقوله : «وامكم منكم» ، بقوله : (فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم(صلى الله عليه وآله)).

وروى مسلم في صحيحه عن جابر أنه سمع النبي(صلى الله عليه وآله) يقول : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم(عليه السلام) فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللّه هذه الامة).

---

[6] [الزخرف:61]

[7] ونذكر هنا بعض الأحاديث من كتاب (عقيدة أهل السنة والاثر في المهدي المنتظر) للشيخ عبد المحسن العباد .

فهذه الاحاديث التي وردت في الصحيحين ، وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدي ، تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت . وقد جاءت الاحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الاحاديث التي في الصحيحين ، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح اسمه محمد ، ويقال له المهدي . والسنة يفسر بعضها بعضاً .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - :«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ النَّاسَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ [8] اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً »[9].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - :«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَقْنَى [10] يَمْلأُ ، الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ قَبْلَهُ ظُلْماً ، يَمْلِك سَبْعَ سِنِينَ»[11]

عن أبي سعيد الخدري قال : «قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) : أبشركم بالمهدي . يبعث على اختلاف من الناس ، وزلازل ، فيملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض ، يقسم المال صحاحاً . قال له رجل : ما صحاحاً ؟ قال : بالسوية ، ويملا اللّه قلوب أمة محمد(صلى الله عليه وآله) غناء ، ويسعهم عدله» ، إلى آخر الحديث [12].

---

[8] أي : يوافق .

[9] ابن حبان [6785] تعليق الألباني "حسن صحيح" ، تعليق شعيب الأرنؤوط "إسناده حسن".

[10] أقنى : القنا في الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه .

[11] ابن حبان [6787] ، تعليق الألباني "حسن صحيح" ، تعليق شعيب الأرنؤوط "إسناده حسن".

[12] قال الهيثمي في مجمع الزوائد : «رواه أحمد بأسانيد أبي يعلى باختصار كثير» .

عن أبي هريرة عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال : «يكون في أمتي المهدي» ، إلى آخر الحديث [13].

وعقد أبو داود في سننه كتاباً ، قال في أوله : «أول كتاب المهدي»، وقال في آخره : «آخر كتاب المهدي» ، وجعل تحته باباً واحداً أورد فيه ثلاثة عشر حديثاً ، وصدر هذا الكتاب بحديث جابر ابن سمرة قال : «سمعت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) يقول : لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة» الحديث [14].

وروى أبو داود في سننه من طريق عاصم بن أبي النجود ، عن أبي زرعة عن عبد اللّه بن مسعود ، عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) قال : «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطول اللّه ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي» الحديث[15] .

وقال أبو داود في سننه : «حدثنا سهل بن تمام بن بديع ، حدثنا عمران القطان عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) : المهدي مني أجلى الجبهة ، أقنى الانف ، يملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، ويملك سبع سنين»[16] .

وقال أبو داود في سننه : «حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد اللّه بن جعفر الرقي ، حدثنا أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم

---

[13] قال الهيثمي : «رواه الطبراني في الاوسط ، ورجاله ثقات» .

[14] قال السيوطي في آخر جزء من العرف الوردي في أخبار المهدي : «إن في ذلك إشارة إلى ما قاله العلماء : إن المهدي احد الاثني عشر» .

[15] وهذا الحديث سكت عليه أبو داود والمنذري ، وكذا ابن القيم في تهذيب السنن وقد أشار إلى صحته في المنار المنيف ، وصححه ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ، وقد أورده في مصابيح السنة في فصل الحسان ، وقال عنه الالباني في تخريج أحاديث المشكاة : «وإسناده حسن» .

[16] قال ابن القيم في المنار المنيف : «رواه أبو داود بإسناد جيد» ، وأورده في مصابيح السنة في فصل الحسان ، وقال الالباني في تخريج أحاديث المشكاة : «وإسناده حسن» ، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير .

سلمة قالت : سمعت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة» ، وأخرجه ابن ماجة عن سعيد بن المسيب قال : «كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي ، فقالت : سمعت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) يقول : المهدي من ولد فاطمة» [17].

أقوال أئمة الإسلام في أن المهدي من علامات الساعة :

أقوال العلماء في أن المهدي ثابتة، فلقد قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية: الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة.

وقال الحافظ ابن كثير في نهاية البداية والنهاية: فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان، قال: وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر.

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان: والمسلمون ينتظرون نزول عيسى عليه السلام من السماء لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود وعباده من النصارى، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

قال الشيخ أحمد المراغي [18]، تحت عنوان : المهدى المنتظر
(أشهر الروايات أن اسمه محمد بن عبد الله، والشيعة يقولون إنه محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه بالحجة والقائم والمنتظر، ويقولون إنه دخل السرداب فى دار أبيه فى مدينة (سرّ من رأى) التي تسمى الآن (سامرّا) سنة 265 وله من العمر تسع سنين وأنه لا يزال فى السرداب

---

[17] وقد أورد هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز لصحته ، وأورده في مصابيح السنن في فصل الحسان ، وقال الالباني في تخريج أحاديث المشكاة : «وإسناده جيد» .

[18] تفسير المراغي (9/ 133) أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)

حيا، وزعمت الكيسانية أنه محمد بن الحنفية وأنه حيّ مقيم بجبل رضوى (جبل بالمدينة) بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تفيضان عسلا ولبنا ومعه أربعون من أصحابه.

والمشهور فى نسبه أنه علوى فاطمى من ولد الحسن، وهناك رواية مصرحة بأنه من ولد العباس، فقد روى الرافعي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس: «ألا أبشرك يا عم؟ إن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدى فى آخر الزمان، به ينشر الله الهدى ويطفئ نيران الضلالة، إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم «،

ومن حديث ابن عساكر عنه مرفوعا (اللهم انصر العباس وولد العباس (ثلاثا) يا عمّ أما علمت أن المهدى من ولدك موفّقا مرضيّا) وفى معناهما أحاديث أخرى لأبى هريرة وأم سلمة وعليّ.

وأكثر العلماء ينكرون هذه الأحاديث ويقولون إنها موضوعة لا نصيب لها من الصحة، ومن ثم لم يعتدّ بها الشيخان، ومن هؤلاء ابن خلدون فقد ذكر الأحاديث التي وردت فى المهدى وضعفها وضعف أسانيدها وانتهت به خاتمة المطاف إلى أنه لم يصح فيه شيء يوثق به- إلى أن قال: إن لله سننا فى الأمم والدول والعمران، مطردة فى كل زمان ومكان، كما ثبت فى مصحف القرآن وصحف الأكوان، ومنها أن الدول لا تقوم إلا بعصبية، وأن الأعاجم قد سلبوا العصبية من قريش والعترة النبوية، فإن صحت أخبار هذا المهدى فلا يظهر إلا بعد تجديد عصبية هاشمية علوية ولو سمعوا وعقلوا لسعوا وعملوا ولكان استعدادهم لظهور المهدى بالاهتداء بسنن الله رحمة لهم تجاه ما كانوا فى أخباره من الفتن والنقم فيهم، وربما أغناهم عن بعض ما يروّجون من زعمامته إن لم يغنهم عنه كله.

هذا، والمسلمون لا يزالون يتكلون على ظهور المهدى ويزعم دهماؤهم أنه سينقض لهم سنن الله أو يبدّلها تبديلا وهم يتلون قوله تعالى: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» فإذا كان من أشراط الساعة آيات وكان فى زمانها خوارق عادات فهل يضرهم أن تأتيهم وهم على هدى من ربهم وإقامة لشرعهم فى عزة وسلطان فى أرضهم؟ ... وكان لكعب الأحبار جولة واسعة فى تلفيق تلك الأخبار اهـ.

وقد كانت هذه المسألة أكبر مثارات الفساد والفتن فى الشعوب الإسلامية، إذ تصدّى كثير من محبى الملك والسلطان ومن أدعياء الولاية لدعوى المهدوية فى الشرق والغرب وتأييد

دعواهم بالقتال والحرب وبالبدع والإفساد فى الأرض حتى خرج ألوف الألوف من هداة الدين ومرقوا من الإسلام.

وقد كان من حصافة الرأى أن يكون خروج المهدى باعثا لهم على الاستعداد لظهوره بتأليف عصبة قوية بزعامته تجدد الإسلام وتنشر العدل فى الأنام، لكنهم لم يفعلوا بل تركوا ما يجب من حفظ سلطان الملة يجمع كلمة الأمة، وبإعداد ما استطاعوا من حول وقوة، واتكلوا على قرب ظهور المهدى، وأنه هو الذي سيردّ إليهم ملكهم بالكرامات وخوارق العادات لا بالمدافع والدبابات، والطيارات والقاذفات، والأساطيل والغواصات، وقد فاتهم أن الحرب كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين سجالا، وكان المؤمنون ينفرون منه خفافا وثقالا، فهل يكون المهدى أهدى منه أعمالا، وأحسن منه حالا ومآلا.)

عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر :

ومن الفائدة أن نلخص ما كتبه الشيخ عبد المحسن العباد في هذا الصدد لأهميته وتطرقه لجوانب هامة فيه ، فلا داعي لتكرار البحث ثانية وقد كفلنا مؤنته ، تحت عنوان (عقيدة أهل السنة والاثر في المهدي المنتظر) فنقول ملخصين ما ذكر:

ومما هو مستقر في وجدان الأمة ومسطور في ثوابت عقيدتها، أن من جليل الأمور المستقبلة التي تقع في آوان آخر الزمان، تزامناً مع نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، هو ظهور رجل من دوحة النبوة الشريفة، ومن نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يوافق اسمه اسم النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وهو الملقب بالمهدي، حيث يقيضه الله ليتولى إمرة المسلمين ويجمع شملهم، حتى إن عيسى بن مريم عليه السلام يصلي خلفه في مشهد يجسد وحدة هذه الأمة ورفعة شأنها، وقد تظاهرت على ذلك الأحاديث المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، تلك التي تلقتها الأمة بالقبول المطبق، وانعقد عليها إجماع أهل السنة والجماعة إلا من شذ من أهل البدع والأهواء.

أهمية الكتابة في هذا الموضوع :

إنَّ بواعث الكتابة في هذا المقام، وتحرير المسألة على وجه الدقة، تعود إلى أمرين جوهريين لا يسع الباحث إغفالهما:

أولهما :أنَّ الأحاديث المتعلقة بشأن المهدي قد وردت في الصحيحين على وجه الإجمال، بينما جاء تفصيلها وبيان مجملها في غيرهما من السنن والمسانيد؛ فظنَّ بعض قاصري النظر أنَّ خلوّ الصحيحين من التفصيل يقدح في أصل القضية أو يقلل من شأن تلك الأحاديث، وهذا وهمٌ وجنوحٌ عن جادة الصواب؛ فالمقرر عند أرباب هذا الفن أنَّ الحديث إذا صحَّ أو حَسُن في غير الصحيحين فهو حجةٌ مقبولة ومعتقدٌ معتمد، ولا تلازم بين عدم الذكر في البخاري ومسلم وبين عدم الثبوت.

ثانيهما :ما جهر به بعض كُتّاب العصر من طعونٍ مجردة عن العلم في أحاديث المهدي، اندفاعاً وراء التقليد الأعمى لمن ليس من أهل الشأن، أو استناداً إلى جهلٍ بموازين النقد الحديثي. ومن ذلك ما وقفتُ عليه من تعليقاتٍ لعبد الرحمن محمد عثمان في طبعة تحفة الأحوذي بمصر، حيث زعم أنَّ أحاديث المهدي موضع شك عند كثير من العلماء، وأنها من وضع الشيعة! بل تمادى في موضع آخر ليصفها بأنها من وضع الباطنية، زاعماً أنَّ الثقات الأثبات لا يصححون نسبتها للنبي ﷺ. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاسر غيره كمحيي الدين عبد الحميد في تعليقه على الحاوي للفتاوي للسيوطي، فادعى أنَّ بعض الباحثين يرى أنَّ أخبار المهدي والدجال ليست إلا من الإسرائيليات!

وأمام هذه التجرؤات التي تمسُّ ثوابت النقل، وبناءً على الواجب الشرعي الذي يحتم على كل مسلم ناصح لنفسه التصديق المطلق بما صحَّ عن الصادق المصدوق ﷺ، رأيتُ أن أبسط القول في هذه المسألة تحت عنوان :عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر؛ بياناً للحق، ودحضاً للأباطيل، وصيانةً لجناب السنة من تخبط المتخبطين.

أسماء الصحابة الذين رووا عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أحاديث المهدي والائمة الذين خرّجوا الاحاديث والاثار في كتبهم :

ومما يقطع دابر الشك ويؤكد رسوخ هذه العقيدة في وجدان الأمة المسلمة، هو ذلك الحجم الهائل من الأسانيد والمصادر التي أثبتت أحاديث المهدي المنتظر؛ حيث لم تكن هذه الأحاديث مجرد روايات آحاد أو أخبار عابرة، بل هي حقيقة شرعية استندت إلى ركنين وثيقين:

الركن الأول: كثرة الرواة من جيل الصحابة

فقد تظافرت الرواية عن عدد ضخم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، تجاوز الستة وعشرين راوياً من كبار الصحابة وصحابة آل البيت وأمهات المؤمنين، وهو عدد يلحق الأحاديث بدرجة الاستفاضة والشهرة التي لا يسوغ لمسلم ردها أو التشكيك في أصلها، مما يبطل دعاوى القائلين بأنها أخبار مدسوسة أو واهية.

الركن الثاني: إجماع أئمة التدوين على تخريجها

لقد اعتنى أئمة الحديث وجهابذة الرواية بجمع هذه الأحاديث وإثباتها في مصنفاتهم المعتبرة، فنجد ذكرها وتخريجها قد عمّ دواوين السنة قاطبة؛ من كتب الصحاح، والسنن، والمعاجم، والمسانيد، والمصنفات، وكتب الفتن والملاحم. وقد بلغت المصادر التي أثبتت هذه الأحاديث ثمانية وثلاثين كتاباً من أصول المراجع الحديثية عند أهل السنة والجماعة، مما يجعلها عقيدة مُسندة مدونة في أمهات الكتب، وليست مجرد أوهام باطنية أو خرافات سحرية كما يحاول المرجفون تصويرها في افترائهم على أهل الدعوة.

ذكر من ألفوا في قضية المهدي كتبا خاصة :

لم تقتصر عناية علماء هذه الأمة بحديث المهدي المنتظر على مجرد الرواية والإثبات في الدواوين العامة كالسنن والمسانيد، بل تجاوزت ذلك إلى إفراد هذه المسألة بالتأليف المستقل والجمع المتخصص، قياماً بواجب النصح للمسلمين وحماية لجناب السنة من الدخيل والتحريف؛ فقد انبرى جهابذة الحفاظ والفقهاء عبر القرون لتدوين رسائل وأجزاء حديثية خاصة في شأن المهدي، جمعوا فيها الآثار وحققوا الأسانيد، ومن هؤلاء من توسع في الجمع حتى أربت الروايات التي أوردها على المائتين بين صحيح وحسن، ومنهم من أفرد له مؤلفات ضمن أبواب الفتن والملاحم، ومنهم من ألف في علاماته المخصوصة وتواتر الأحاديث الواردة في ظهوره، بل إن من كبار أئمة الحديث من لخص ما جمعه المتقدمون وزاد عليه ما فاتهم، ومنهم من قرن بين ذكره وبين نزول عيسى عليه السلام وخروج المسيح الدجال تأكيداً على اتصال هذه الأحداث في آخر الزمان.

إن هذه السلسلة الذهبية من المؤلفات المستقلة، التي سطرها أئمة المذاهب المعتبرة من حنفية وشافعية وحنابلة وغيرهم، تؤكد أن قضية المهدي هي قضية علمية شرعية خاضت فيها أقلام المحدثين والفقهاء بالتحقيق والبيان، وليست مجرد نبوءة سحرية مجهولة المصدر كما يفتري الكذابون؛ فشتان بين منهج يقوم على أجزاء حديثية مسندة أو كتب منفردة لأئمة كبار كأبي بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب والسيوطي والحافظ عماد الدين بن كثير وعلي المتقي الهندي صاحب كنز العمال والملا علي القاري ومرعي بن يوسف الحنبلي ومحمد بن علي الشوكاني والامير محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام رحمهم الله جميعا ، وبين ادعاءات المرجفين الذين يحاولون ربط مشايخ الدعوة بكتب السحر والشعوذة التي يبرأ منها كل هؤلاء الأعلام وتبرأ منها حركة التبليغ قاطبة.

حكاية تواتر أحديث المهدي :

لم يتوقف اعتراف علماء الأمة بأحاديث المهدي عند حد إثباتها وتصحيحها، بل تجاوز ذلك إلى تقرير حقيقة علمية كبرى وهي التواتر؛ إذ نصّ جهابذة المحققين ونقاد الحديث عبر العصور على أن الأخبار الواردة في المهدي قد بلغت حد التواتر المعنوي والاستفاضة التي تفيد العلم القطعي، مما يجعل الإيمان بخروجه واجباً مقرراً في عقائد أهل السنة والجماعة ومدوناً في أمهات كتبهم. وقد تتابعت كلمات الأئمة من مختلف المذاهب والبلدان لتؤكد هذه الحقيقة، فمنهم من صرح بأن إنكار هذه الأحاديث جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة، ومنهم من بيّن أن مجموع هذه الروايات عن الصحابة والتابعين يورث العلم اليقيني الذي لا مجال للريب فيه، مؤكدين أن الوصف المتواتر ينطبق عليها بكل المقاييس والاصطلاحات الحديثية المحررة.

إن هذا الإجماع السكوتي واللفظي من كبار الحفاظ والفقهاء والقضاة والمفسرين، الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام، يقطع الطريق على كل مرجف يحاول تصوير هذه العقيدة على أنها نتاج أوهام باطنية أو خرافات سحرية؛ فالتواتر هو أعلى درجات الثبوت في الشريعة، وهو ما يعتقده ويجزم به علماء الأمة خلفاً عن سلف. وبناءً عليه، فإن محاولة المفتري ربط مشايخ الدعوة والتبليغ بكتب السحر لإثبات معتقدهم في المهدي هي محاولة ساقطة شرعاً وعقلاً؛ لأن معتقد الجماعة في هذه المسألة هو عين معتقد أهل السنة والجماعة القائم على النصوص المتواترة لا على الطلاسم المبتدعة، وشتان بين الثوابت اليقينية وبين الأكاذيب والافتراءات التي يروجها خصوم الدعوة بغير علم ولا هدى.

وقد تقرر أن أحاديث المهدي وأنه من أهل بيت النبي ﷺ يملأ الأرض عدلاً، قد تواترت واستفاضت، وسكت على هذا التقرير كبار الحفاظ كابن القيم وابن حجر والسيوطي، مما يعد قبولاً منهم لهذه الحقيقة. وقد جزم المحققون بأن الروايات في وجود المهدي وخروجه آخر الزمان لا تكاد تنحصر، وقد بلغت حد التواتر المعنوي الذي لا معنى لإنكاره ، كما أن مجموع الروايات المتعددة عن الصحابة والتابعين يفيد العلم القطعي، مما يجعل خروج المهدي أصلاً مدوناً في عقائد أهل السنة والجماعة لا يسوغ الشذوذ عنه.

حتى الآثار المروية عن الصحابة في هذا الشأن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ؛ لأن مثل هذه الغيبيات لا مجال فيها للاجتهاد والرأي، مما يزيد القضية ثباتاً ويقيناً.

ذكر بعض ما قد يظن تعارضه مع الاحاديث الواردة في المهدي ، مع الجواب عن ذلك:

1. تقدم في أثناء كلام الائمة الذين حكيت كلامهم ، أن حديث «لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم» لا يتعارض مع الاحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ; لضعفه ، ولامكان الجمع بينها لو صح ، بأن يكون معناه لا مهدي كاملاً إلاّ عيسى ابن مريم(عليه السلام) ، وذلك ينفي أن يكون غيره مهدياً ، كالمهدي الذي دلت عليه الاحاديث.
2. إن ما دلت عليه أحاديث المهدي من قيامه بنصرة الدين ، وامتلاء الارض في زمانه من العدل ، لا ينافيه وجود الدجال وأتباعه في زمانه ، ومعاداتهم للمسلمين ، وكذا الادلة الدالة على بقاء الاشرار مع الاخيار ، حتى تخرج الريح اللينة التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ، ولا يبقى بعد ذلك إلاّ شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة ; لان المراد مما جاء في أحاديث المهدي كثرة الخير ، وقوة أهل الاسلام ، وحصول الغلبة لهم ، وقهرهم لغيرهم ، وهذا لا ينفي وجود أشرار مغمورين في زمانه ، كما أننا نعتقد أن الرسول(صلى الله عليه وآله)وخلفاءه قد ملؤوا الارض عدلاً ، وكان مع ذلك في الارض في زمانهم من أعدائهم الكثير (قل فللّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين).
3. إنّ ما دلت عليه أحاديث المهدي من امتلاء الارض ظلماً وجوراً قبل خروجه لا يدل على خلو الارض من أهل الخير قبل زمانه ، فالرسول(صلى الله عليه وآله) أخبر في أحاديث صحيحة بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر اللّه ، ومنها الحديث الذي رواه مسلم عن جابر أنه سمع النبي(صلى الله عليه وآله) يقول : «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم : تعال صلّ لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللّه هذه الامة» وهذه الاحاديث وأحاديث المهدي تدل على أن الحق مستمر لا ينقطع ، لكنه في بعض الازمان تكون لاهله الغلبة ويحصل له الانتشار ، كما في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله) ، وكما في زمن المهدي وعيسى ابن مريم ، وفي بعض الازمان يضعف أهل الحق ويتضاءل انتشاره . أما أن الحق يتلاشى ويضمحل ، فهذا ما لم يكن فيما مضى منذ زمن الرسول(صلى الله عليه وآله) ، ولا يكون في المستقبل حتى خروج الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ، كما أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى صلوات اللّه وسلامه عليه ، فما من زمن في الماضي إلاّ وقد هيّأ اللّه لهذا الدين من يقوم به ، وفي هذا الزمن الذي تكالب أعداء الاسلام عليه ، وغزي بابنائه المنتسبين إليه أعظم من غزوه بأعدائه ، لم تخل الارض من إقامة شعائر الدين الاسلامي.

ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي واعتقدوا موجبها ، وحكاية كلامهم في ذلك [19]:

قال الحافظ أبو جعفر العقيلي[20]: «إن في المهدي أحاديث جياداً»
قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، في ترجمة علي بن نفيل بن زارع النهدي : «قلت : ذكره العقيلي في كتابه ، وقال : لا يتابع على حديثه في المهدي ، ولا يعرف إلاّ به» . قال : «وفي المهدي أحاديث جياد من غير هذا الوجه» .
ويرى الامام ابن حبان البستي المتوفى سنة 354 أن الاحاديث الواردة في المهدي مخصصة لحديث : «لا يأتي عليكم زمان إلاّ والذي بعده شر منه» .
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، في الكلام على الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن : «إن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله)قال : لا يأتي عليكم زمان إلاّ والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم» . قال : «واستدل ابن حبان في صحيحه بأن الحديث ليس على عمومه بالاحاديث الواردة في المهدي ، وأنه يملا الارض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً» .
وقال الامام البيهقي [21]، بعد كلامه على تضعيف «لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم» قال : «والاحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح البتة إسناداً»[22] .
وقال الامام محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي [23]بعد ذكر حديث «ولا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم» قال : «إسناده ضعيف، والاحاديث عن النبي(صلى الله عليه وآله) في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث ، فالحكم بها دونه» ، وقال : «يحتمل أن يكون

---

[19] نقلا عن المصدر السابق للشيخ عبد المحسن العباد .

[20] المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة

[21] المتوفى سنة 458 هـ

[22] نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، في ترجمة محمد بن خالد الجندي ، راوي حديث «لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم» ، ونقله عنه أيضاً ابن القيم في المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف .

[23] صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة 671 هـ ، في كتابه التذكرة في أمور الاخرة

قوله(صلى الله عليه وآله) : ولا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم ، أي لا مهدي كاملاً إلاّ عيسى» . قال : «وعلى هذا تجتمع الاحاديث ويرتفع التعارض»[24] .

وقال ابن تيمية [25]، في التعليق على الحديث الذي رواه ابن عمر عن النبي(صلى الله عليه وآله) : «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي ، وكنيته كنيتي ، يملا الارض عدلاً كما ملئت جوراً ، وذلك هو المهدي» : «إن الاحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة ، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره ، كقوله (صلى الله عليه وآله) في الحديث الذي رواه ابن مسعود : لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم ، لطول اللّه ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة ، وفيه : المهدي من عترتي من ولد فاطمة ، ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد ، وفيه : يملك الارض سبع سنين ، ورواه عن علي(رضي الله عنه) أنه نظر إلى الحسن وقال : إن ابني هذا سيد كما سماه رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ، يملا الارض قسطاً . وهذه الاحاديث غلط فيها طوائف ، طائفة أنكروها ، واحتجوا بحديث ابن ماجة أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال : لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم ، وهذا الحديث ضعيف ، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه، وليس مما يعتمد عليه ، ورواه ابن ماجة عن يونس عن الشافعي، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي ، وهو ممن لا يحتج به ، وليس في مسند الشافعي ، وقد قيل : إن الشافعي لم يسمعه من الجندي ، وإن يونس لم يسمعه من الشافعي ، وطائفة قالت : جده الحسين ، وكنيته أبو عبد اللّه ، فمعناه محمد بن أبي عبد اللّه ، وجعلت الكنية اسماً ، وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سماه غاية السول في مناقب الرسول» .

وقد عقد ابن القيم في آخر كتابه المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف ، فصلاً في الكلام على احاديث المهدي وخروجه، والجمع بينها وبين حديث : «لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم» ، قال فيه : «فأما حديث : لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم ، فرواه ابن ماجة في سننه عن يوسف بن عبد الاعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي(صلى الله عليه وآله) ، وهو مما تفرد به محمد بن خالد . قال أبو الحسن محمد بن الحسين الابري في كتاب مناقب

[24] نقل ذلك عنه السيوطي في آخر جزء من العرف الوردي في أخبار المهدي .

[25] المتوفى سنة 728 في كتابه منهاج السنة النبوية (4:211)

الشافعي : محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل . وقد تواترت الاخبار واستفاضت عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) بذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملا الارض عدلاً ، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الامة ويصلي عيسى خلفه ، وقال البيهقي : تفرد به محمد بن خالد هذا ، وقد قال الحاكم أبو عبد اللّه : هو مجهول، وقد اختُلف عليه في إسناده ، فروي عنه عن أبان بن أبي عياش عن الحسن مرسلاً عن النبي(صلى الله عليه وآله) . قال : فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد ، وهو مجهول ، عن أبان بن أبي عياش ، وهو متروك ، والاحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً» . قال ابن القيم : «قلت : كحديث عبد اللّه بن مسعود عن النبي(صلى الله عليه وآله) : لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم ، لطول اللّه ذلك اليوم حتى يبعث رجل مني (أو من أهل بيتي) يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملا الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . قال (يعني الترمذي) : وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة ، ثم روى حديث أبي هريرة وقال : حسن صحيح».

ثم قال ابن القيم : «وفي الباب عن حذيفة بن اليمان وأبي أمامة الباهلي وعبد الرحمان بن عوف وعبد اللّه بن عمرو بن العاص وثوبان وأنس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم» ، ثم أورد عدة أحاديث رواها بنص أهل السنن والمسانيد وغيرها ، منها ماهو صحيح ، ومنها ماهو ضعيف أورده للاستئناس به .

ثم قال : «وهذه الاحاديث أربعة أقسام : صحاح ، وحسان ، وغرائب ، وموضوعة ، وقد اختلف الناس في المهدي عن أربعة أقوال ، أحدها أنه المسيح ابن مريم .

واحتج أصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجندي المتقدم ، وقد بينا حاله ، وأنه لا يصح ، ولو صح لم يكن به حجة ; لان عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) وبين الساعة ، وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي(صلى الله عليه وآله) على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وحكمه بكتاب اللّه ، وقتله اليهود والنصارى ، ووضعه الجزية ، وإهلاك أهل الملل في زمانه ، فيصح أن يقال لا مهدي في الحقيقة سواه ، وإن كان غيره مهدياً ، كما يقال لا علم إلاّ ما نفع ، ولا مال إلاّ ما وقى وجه صاحبه ، وكما يصح أن يقال إنما المهدي عيسى ابن مريم ، يعني المهدي الكامل المعصوم .

القول الثاني : أنه المهدي الذي ولي من بني العباس ، وقد انتهى زمانه » .

ثم ذكر حديثين منهما ذكر مجيء الرايات السود من قبل المشرق من جهة خراسان ، وأشار إلى ضعفهما ، ثم قال مشيراً إلى أولها وثانيها : «هذا والذي قبله لو صح لم يكن فيه دليل على الذي تولى من بني العباس هو المهدي الذي يخرج من آخر الزمان ، بل هو مهدي من جملة المهديين ، وعمر بن عبد العزيز كان مهدياً » .

ثم قال : «القول الثالث أنه رجل من أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله) يخرج في آخر الزمان ، وقد امتلات الارض جوراً وظلماً فيملاها قسطاً وعدلاً ، وأكثر الاحاديث على هذا تدل » .

ثم أورد بعض الاحاديث في خروج المهدي ، ثم قال : «وأما الامامية فلهم قول رابع ، وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر ، من ولد الحسين بن علي ، لا من ولد الحسن ، الحاضر في الامصار الغائب عن الابصار» .

وقال أبو الحسن السمهودي[26]: «ويتحصل مما ثبت في الاخبار عنه (أي المهدي) أنه من ولد فاطمة ، في أبي داود أنه من ولد الحسن ، والسر فيه ترك الحسن الخلافة للّه شفقة على الامة ، فجعل القائم بالخلافة ـ الحق ـ عند شدة الحاجة وامتلاء الارض ظلماً من ولده ، وهذه سنة اللّه في عباده أنه يعطي لمن ترك شيئاً من أجله أفضل مما ترك أو ذريته ، وقد بالغ الحسن في ترك الخلافة» . انتهى بواسطة نقل المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي.

وقال ابن حجر المكي[27]: «الذي يتعين اعتقاده مادلت عليه الاحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر ، الذي يخرج الدجال وعيسى خلفه ، وأنه المراد حيث أُطلق المهدي» . انتهى بواسطة نقل البرزنجي في الاشاعة لاشراط الساعة .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير(رحمه الله) ، في كتاب الفتن والملاحم تحت عنوان في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان : «وهو أحد الخلفاء الراشدين الائمة المهديين» .

وقال الترمذي : «حدثنا محمد جعفر حدثنا شعبة سمعت زيداً العمى سمعت الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال : خشينا أن يكون بعد نبينا حدث ، فسألنا نبي اللّه(صلى الله عليه وآله) فقال : إن في امتي المهدي ، يخرج فيعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً (زيد الشاك) . قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : سنين . قال : يجيء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني . قال : فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله . هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي(صلى الله

---

[26] المتوفى سنة 911 هـ

[27] المتوفى سنة 974 هـ في كتابه القول المختصر في علامات المهدي المنتظر

عليه وآله) . وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ، ويقال بكر بن قيس ، وهذا دليل على أن أكثر مدته تسع ، وأقلها خمس أو سبع ، ولعله هو الخليفة الذي يحثي المال حثياً . واللّه أعلم . وفي زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم» .

قال الامام أحمد : «حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال : كنا جلوساً عند عبد اللّه بن مسعود ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمان ، هل سألتم رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) كم يملك هذه الامة من خليفة ؟ قال عبد اللّه : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول اللّه فقال : اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل» .

وأصل الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال : «سمعت النبي(صلى الله عليه وآله) يقول : لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلم النبي(صلى الله عليه وآله) بكلمة خفيت علي ، فسألت أبي ماذا قال النبي(صلى الله عليه وآله)قال : كلهم من قريش» وهذا لفظ مسلم ، ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم .

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي[28]: «وأخبار المهدي كثيرة شهيرة ، أفردها غير واحد في التأليف» إلى أن قال : «أخبار المهدي لا يعارضها خبر : لا مهدي إلاّ عيسى ابن مريم ; لان المراد به ، كما قال القرطبي ، لا مهدي كاملاً إلاّ عيسى ابن مريم» .

وقال المناوي عند حديث : « لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسى بن مريم في آخرها ، والمهدي في وسطها» «أراد بالوسط ما قبل الاخر ، لان نزوله(عليه السلام) لقتل الدجال يكون في زمن المهدي ، ويصلي عيسى خلفه ، كما جاءت به الاخبار ، وجزم به جمع من الاخيار» وذكر عند حديث : «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه» أنه بعد نزوله يجيء فيجد الامام المهدي يريد الصلاة ، فيتأخر ليتقدم ، فيقدمه عيسى(عليه السلام)ويصلي خلفه . قال : «فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الامة» ثم قال : «ولا ينافي ما ذكر في هذا الحديث ما اقتضاه بعض الاثار ، من أن عيسى هو الامام المهدي ، وجزم به السعد التفتازاني ، وعلله بأفضليته ; لامكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولاً ليظهر أنه نزل تابعاً لنبينا حاكماً بشرعه ، ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل» .

[28]صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المتوفى سنة 1032 هـ ، في كتابه المذكور

وقال الشيخ محمد السفاريني في كتابه لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية ، الذي شرح فيه نظمه في العقيدة المسمى «الدرة المغنية في عقد الفرقة المرضية» :

وما أتى بالنص من أشراط * فكله حق بلا شطاط

منها الامام الخاتم النصيح * محمد المهدي والمسيح

«منها أي من أشراط الساعة التي وردت بها الاخبار ، وتواترت في مضمونها الاثار ، أي من العلامات العظمى ، وهي أولها أن يظهر الامام المقتدى بأقواله وأفعاله ، الخاتم للائمة فلا امام بعده ، كما أن النبي(صلى الله عليه وآله) هو الخاتم للنبوة والرسالة ، فلا نبي ولا رسول بعد الفصيح اللسان ، لانه من صحيح العرب أهل الفصاحة والبلاغة» .

ثم قال : «وقوله : محمد المهدي ، هذا اسمه وأشهر أوصافه ، فأما اسمه فمحمد ، جاء ذلك في عدة أخبار ، وفي بعضها أن اسمه محمد ، واسم ابيه عبد اللّه ، فقد صح عن النبي(صلى الله عليه وآله) أنه قال : يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي . رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ، ولفظه أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال : لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم ، لطول اللّه ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهلي بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود(رحمه الله) .

وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضاً : لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، يملا الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ... أخرجه الطبراني في معجمه الصغير ، وأخرجه الترمذي ، ولفظه : حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وكذلك أخرجه أبو داود في سننه ، وروى ابن مسعود أيضاً رفعه : اسم المهدي محمد ، وفي مرفوع حذيفة : محمد بن عبد اللّه ، ويكنى أبا عبد اللّه ، ومن أسمائه احمد بن عبد اللّه ، كما في بعض الروايات» . إلى أن قال : «وأما تسميته ووصفه بالمهدي ، فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة أخبار» . إلى أن قال : «وأما كنيته فأبو عبد اللّه ، وأما نسبه فإنه من أهل بيت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله)» .

ثم إن الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة أنه من ولد فاطمة البتول ابنة النبي الرسول(صلى الله عليه وآله) ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين ، وجاء في بعض الاحاديث أنه من ولد العباس ، والاول أصح . قال ابن حجر في كتابه القول المختصر : وأما ما روي : إن المهدي من ولد العباس عمي ، فقال الدارقطني : حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم . قال : ولا ينافيه خبر الرافعي عن

ابن عباس مرفوعاً: ألا ابشرك يا عم أن ذريتك الاصفياء ، ومن عترتك الخلفاء ، ومنك المهدي في آخر الزمان ، به ينشر اللّه الهدى ، ويطفئ نيران الضلالة . إن اللّه فتح بنا هذا الامر ، وبذريتك يختم . ثم أورد ابن حجر عدة أخبار في هذا المعنى ، ثم قال : فهذه الاخبار كلها لا تنافي أن المهدي من ذرية رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) من ولد فاطمة الزهراء ; لان الاحاديث التي فيها أن المهدي من ولدها أكثر وأصح ، بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الائمة ، أن كون المهدي من ذريته(صلى الله عليه وآله) مما تواتر عنه ذلك ، فلا يسوغ العدول ولا الالتفات إلى غيره» .

ثم ذكر الشيخ السفاريني(رحمه الله) خمس فوائد ، تكلم على كل واحدة منها ، الاولى في حليته وصفته ، والثانية في سيرته ، والثالثة في علامات ظهوره ، والرابعة في الاشارة إلى بعض الفتن الواقعة قبل خروجه ، والخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك ، ثم قال بعد الانتهاء من الكلام على الفوائد الخمس : «قد كثرت الاقوال في المهدي ، حتى قيل لا مهدي إلاّ عيسى ، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى ، وأنه يخرج قبل نزول عيسى(عليه السلام) ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي ، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم» ثم ذكر بعض الاثار والاحاديث في خروج المهدي ، وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ، ثم قال : «وقد روي عما ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي اللّه عنهم روايات متعددة ، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي ، فالايمان بخروج المهدي واجب ، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة» .

وقال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي [29]: «وبعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع ، وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة ، ولكن في قرن التابعين وأتباع التابعين لم تظهر البدع ظهوراً فاشياً ، وأما بعد قرن أتباع التابعين فقد تغيرت الاحوال تغيراً فاحشاً ، وغلبت البدع ، وصارت السنة غريبة ، واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة ، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة إلاّ ما استثني من زمان المهدي(رضي الله عنه) ، وعيسى(عليه السلام)إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس» .

وقال الشيخ شمس الحق العظيم آبادي[30]: «وخرّج أحاديث المهدي جماعة من الائمة ، منهم أبو داود والترمذي وابن ماجة والبزاز والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة

[29] المتوفى سنة ست وعشرين وثلاثمئة والف ، في كتابه صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان

[30] المتوفى سنة 1329 هـ في حاشيته المسماة عون المعبود على سنن أبي داود

، مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد اللّه بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد اللّه بن الحارث ابن جزء ، وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف» .

وقال الشيخ محمد أنور شاه الكشميري[31] : «أخرج مسلم في نزول عيسى(عليه السلام) عن جابر يقول : سمعت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم(صلى الله عليه وآله)فيقول أميرهم : تعال صلّ لنا ، فيقول لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللّه هذه الامة» . قال الكشميري : «المراد به أنه لا يؤم في تلك الصلاة ، حتى لا يتوهم أن الامة المحمدية سلبت الولاية» .

هذه بعض الكلمات التي وقفت عليها لبعض أهل السنة والاثر في شأن المهدي ، والاحتجاج بالاحاديث الواردة فيه ، وأعني بأهل السنة والاثر أهل الحديث ومن سار على منوالهم ، ممن جعل مستنده في الاعتقاد كتاب اللّه وما ثبت عن رسوله(صلى الله عليه وآله) ، دون الاعتراض على ذلك بخيال يسميه صاحبه معقولاً .

[31] المتوفى سنة 1352 هـ في كتابه عقيدة الاسلام

فصل فى ذكر من ادعي المهدية من الفرق المخالفة لأهل السنة :

لقد شهد التاريخ الإسلامي منذ بعثة النبي ﷺ عام 610م ظهور العديد من الشخصيات في أزمنة وأمكنة متفرقة من العالم الإسلامي، ممن ادعوا أنهم المهدي المنتظر، في ظاهرة امتدت عبر القرون وتكررت في سياقات تاريخية مختلفة.

ولم تقتصر دعاوى المهدوية على الجانب الروحي فحسب، بل تحولت في كثير من الأحيان إلى حركات سياسية أدت لتأسيس دول كالدولة المهدية بالسودان، أو تمخضت عنها كيانات دينية وطوائف مستقلة كالبابية والأحمدية؛ وقد تجلى الحضور القوي لهذه العقيدة في الواقع المعاصر من خلال حادثة اقتحام المسجد الحرام عام 1979 بقيادة جهيمان العتيبي. وتتفاوت مركزية هذه العقيدة بين المذاهب الإسلامية، فبينما تحضر بدرجة أقل لدى أهل السنة، تمثل ركيزة جوهرية في الفكر الشيعي (الاثني عشرية والإسماعيلية)، حيث يُعد انتظار المهدي ونصرته عند ظهوره لإقامة العدل عبادةً يومية وأملاً متجذراً في وجدانهم.

مدعو المهدية في القرون الثلاثة الأولى :

القرن الثاني الهجري :

شهد القرن الثاني الهجري تموجات عقدية وسياسية بالغة الخطورة، حيث تداخلت الطموحات السلطوية بالدعاوى الميتافيزيقية، وهو ما تجلى في ظهور شخصيات محورية تركت أثراً عميقاً في وجدان أتباعها. ففي بلاد المغرب، برز صالح بن طريف (توفي نحو 175 هـ / 791 م)، الزعيم الثاني لإمارة برغواطة ، الذي استغل حالة الاضطراب في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (الذي حكم بين 105 - 125 هـ) ليعلن عن دين جديد وقوانين شرعية مستحدثة خاصة بقومه، ناصباً نفسه صالح المؤمنين والمهدي الأخير؛ وتكمن دلالة هذا النموذج في تحريف مفهوم المهدوية ليصبح أداة لتأسيس كيان قومي وعقدي مستقل عن جسد الأمة

الإسلامية. وفي المشرق، نجد عبد الله بن معاوية، المنحدر من نسل جعفر بن أبي طالب، والذي بايعه شيعة الكوفة إماماً في أواخر سنة 127 هـ / 744 م؛ حيث قاد ثورة عارمة ضد الخليفة الأموي يزيد بن الوليد، وبسط نفوذه على غرب إيران وأصفهان لمدة عامين، قبل أن ينكسر عسكرياً في عام 746 - 747 م ويهرب إلى هراة في خراسان ليواجه مصيره مقتولاً في سجن أبي مسلم الخراساني؛ غير أن الرؤية الدينية عند أتباعه رفضت التسليم بموته، فاجترحوا فكرة الغيبة معتقدين أنه المهدي الذي سيعود يوماً، وهذا يفسر كيف يتحول الفشل السياسي إلى أمل غيبي عند الجماعات التي تعاني انكساراً عسكرياً. وبالتوازي مع هذه التحولات، برزت شخصية محمد بن إسماعيل (128 هـ / 740 م - 813 م)، وهو حفيد الإمام جعفر الصادق؛ ورغم أنه لم يدّعِ المهدوية لنفسه في حياته، إلا أن رحيله عن الدنيا في عام 813 م أحدث انقساماً في الفكر الإسماعيلي، فبينما رأى البعض استمرار الإمامة في نسله، اعتقد آخرون (وهم السبعية) أنه الإمام السابع والأخير الذي غاب وسيعود كمهدٍّ منتظر، مما يوضح أن صفة المهدي كانت تُمنح أحياناً للشخصيات المؤثرة من قبل الأتباع كإطار روحي لاستمرارية دعوتهم بعد وفاتهم، حتى وإن لم يطالب بها صاحبها نفسه.

القرن الثالث الهجري :

في حقبة القرن الثالث الهجري، تبلورت واحدة من أدق الركائز الاعتقادية في الفكر الشيعي، متمثلة في شخصية محمد بن الحسن المهدي (256 هـ / 870 م)، الذي يُعد في الوجدان الإثني عشري خاتم الأوصياء والمتمم لسلسلة الأئمة الاثني عشر. وتعود جذور هذا المعتقد إلى ظروف سياسية وأمنية بالغة التعقيد، حيث كان والده الإمام الحسن العسكري قيد الإقامة الجبرية في مدينة سر من رأى (سامراء)، تحت الرقابة اللصيقة لشرطة الدولة العباسية التي كانت تفرض حصاراً مشدداً على تحركات العلويين خشية اندلاع ثورات تطالب بالحق في الخلافة. وفي هذا السياق التاريخي المشحون، يُعتقد أن الإمام العسكري رُزق بولده محمد

في عام 256 هـ / 870 م، غير أنه أحاط ولادته بسرية تامة ولم يكشف عن وجوده إلا لخواص الخواص من المقربين، حمايةً له من سطوة السلطة التي كانت تترصد ظهور المنقذ الموعود الذي تشير الروايات إلى أنه سينهي الحكم العباسي. ويُفسر هذا المشهد التاريخي مفهوم الغيبة عند الشيعة، إذ يرون أن إخفاء الطفل كان ضرورة شرعية وواقعية للحفاظ على بقاء الإمامة من الاستئصال، لتبدأ بوفاة والده مرحلة جديدة من تاريخهم الديني قائمة على انتظار ظهوره في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

مدعو المهدية في القرون التالية للقرون المفضلة :

القرن الرابع الهجري :

انطوى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على تحولات دراماتيكية في خارطة الحركات المهدوية، حيث شهد هذا العصر انقساماً جوهرياً في المتصل الإسماعيلي بين السلميين في بلاد الشام بقيادة عبيد الله المهدي (توفي 322 هـ / 934 م)، وبين القرامطة في الأحساء؛ وقد تفجر الخلاف بينهما حين أعلن عبيد الله نفسه مهدياً وقائماً بالحق، وهو ما دفع القرامطة للانفصال ورفض إمامته. وفي خضم هذا الصراع العنيف، برزت فتنة داخلية في الدولة الفاطمية الناشئة عقب مقتل الداعية أبي عبد الله الشيعي، حيث ثار أتباعه من قبائل كتامة وقدموا طفلاً ادعوا أنه المهدي الحقيقي، مما اضطر عبيد الله المهدي لإرسال حملة عسكرية بقيادة ابنه لقمع الثورة، وانتهى الأمر بهزيمتهم ومقتل ذلك الطفل لقطع دابر الفتنة. وفي ذات السياق، اتخذت المهدوية عند قرامطة البحرين مساراً راديكالياً حين أعلن زعيمهم أبو طاهر الجنابي في عام 318 هـ / 931 م أن شاباً فارسياً يُدعى أبا الفضل الأصفهاني (- 318 هـ / 931 م) هو المهدي المنتظر وتجسيد للمقدس، إلا أن هذا الأخير أحدث صدمة كبرى بمحاولته إحياء شعائر الزرادشتية ونبذ أركان الإسلام، مما أدى لقتله بعد فترة وجيزة من الفوضى. ولم تكن هذه الادعاءات حكراً على الشيعة، بل نجدها في سياقات سياسية أخرى، مثل ظهور محمد

المهدي بالله (- 333 هـ / 945 م) الذي ادعى النسب العباسي والمهدوية أثناء ثورة الخوارج (أبو يزيد) في باجة، متخذاً الرايات السوداء شعاراً، غير أن أمره انكشف حين فشل في إثبات معرفته ببغداد، فصُلب أمام باب المدينة. وفي بغداد نفسها، استُخدمت المهدوية كغطاء للمؤامرات السياسية، كما فعل محمد بن المستكفي (356 هـ / 967 م)، ولي عهد الخليفة العباسي المخلوع، الذي تقمص رداء المهدي في محاولة فاشلة للإطاحة بسلطة البويهيين والخليفة المطيع لله. وختاماً، تبرز شخصية الحاكم بأمر الله (حكم 386 – 411 هـ / 996 – 1021 م)، الذي وإن لم يزعم المهدوية لنفسه تصريحاً، إلا أن طبيعة حكمه الغامضة ونهايته المحيرة جعلت طوائف كالدروز والنزاريين والمستعليين يحيطونه بقدسية خاصة، ويرى بعضهم فيه صفات المهدي المنتظر؛ وتكشف هذه النماذج مجتمعة كيف تحولت عقيدة المهدي في القرن الرابع من مفهوم روحي إلى أيديولوجيا سياسية وعسكرية استُخدمت لتأسيس الدول، أو تصفية الخصوم، أو حتى محاولة الخروج عن النسق الديني السائد.

القرن السادس الهجري :

وقد اتسم القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) بظهور حركات مهدوية ذات طابع راديكالي، أحدثت تحولات جذرية في الخارطة السياسية والتشريعية للعالم الإسلامي؛ حيث برز في المغرب العربي المهدي ابن تومرت (485 - 524 هـ / 1092 - 1130 م)، الذي بدأ حركته كداعية مصلح ينكر على دولة المرابطين ما رآه من انحرافات، فلما رُفضت دعوته في الحواضر كمراكش ، اعتصم بقبائل مصمودة في أعالي جبال الأطلس، وهناك أعلن رسمياً في عام 1121 م أنه المهدي المعصوم و أعرف الناس بالله ، بل وعمد إلى تغيير نسبه الأمازيغي ليصله بآل البيت من جهة الحسين بن علي تعزيزاً لشرعيته الدينية. وتكمن الأهمية العلمية لحركته في كونه جعل العصمة ركيزة لدولته، غير أن إخفاقه العسكري في فتح مراكش عام 1130 م أحدث هزّة في مصداقية هذه العصمة، ليتوفى في العام ذاته مخلفاً وراءه دولة

الموحدين التي أسسها خليفته عبد المؤمن بن علي. وفي المشرق الإسلامي، وتحديداً في قلعة ألموت ، ظهرت حركة أكثر تطرفاً في نسيجها الديني على يد الحسن علي بن حسن القاهر؛ ففي منتصف شهر رمضان سنة 559 هـ / 1164 م، أعلن أمام أتباعه أنه الإمام الغائب ، وأقدم على خطوة أحدثت قطيعة معرفية وتشريعية مع الإسلام التقليدي، حيث أعلن قيامة القيامة وإسقاط التكاليف الشرعية، فاستبدل الصيام بمأدبة خمر علنية في نهار رمضان، زاعماً أن الممارسات الظاهرية للشريعة قد انتهت لصالح التوحيد الباطني. وقد أدى هذا الغلو في تأويل المهدوية إلى صدام عنيف مع الوجدان الديني العام، انتهى باغتيال الحسن طعناً على يد صهره في ذات العام، ليتبين من هذين النموذجين كيف استُخدم مفهوم المهدي في هذا القرن إما لتأسيس إمبراطوريات سياسية شمولية كالموحدين، أو لمحاولة الانقلاب الشامل على الشريعة كما حدث في نزاريّة ألموت.

القرن السابع الهجري :

في القرن السابع الهجري، وتحديداً في عام 625هـ / 1227 م، ظهرت فتنة ابن أبي الطواجين في بلاد المغرب، وهي أنموذج جليّ لكيفية استغلال التدهور السياسي لترويج الدعاوى الدينية الباطلة؛ فعندما دبت الشيخوخة في أوصال دولة الموحدين وضعفت قبضتها المركزية، برز هذا الرجل متوسلاً بأساليب التمويه والشعوذة لاستمالة العامة، متجاوزاً بجرأته حدود المهدوية ليدعي النبوة صراحة. وتكشف هذه الحادثة عن قانون تاريخي مضمونه أن الاضطراب السياسي يوفر بيئة خصبة لظهور المتنبئين و المهديين الزائفين، حيث وجد ابن أبي الطواجين في قبائل مثل بني يوسف وبني حسان ظهيراً عسكرياً وعصبية قبلية مكنته من استفحال أمره ونشر دعوته التي خلطت بين السحر والمطالبة بالزعامة الدينية، مما جعل حركته تمثل تهديداً مزدوجاً للسلطة الزمنية وللعقيدة الإسلامية المستقرة في آن واحد. ويشرح هذا السياق كيف يتحول مدّعي المهدوية أو النبوة من مجرد ظاهرة فردية إلى حركة تمرد اجتماعي بمجرد

ملامسته لثغرات الضعف في كيان الدولة، مستغلاً رغبة القبائل في التحلل من التبعية السياسية تحت غطاء تقديس الشخصية المدعية.

القرن الثامن الهجري :

ثم شهد القرن الثامن الهجري ظهور حركة الحروفية التي مثلت انزياحاً فكرياً خطيراً عن العقائد الإسلامية المستقرة، وتجسدت في شخصية مؤسسها فضل الله نعيمي الاسترآبادي (741 - 796 هـ)؛ حيث لم يقف هذا الرجل عند حدود ادعاء المهدوية، بل تجاوزها ليزعم لنفسه مقاماً قدسياً بوصفه خليفة الله في الأرض على نسق الأنبياء كآدم وعيسى ومحمد ﷺ، منصباً نفسه سيد العصر . وتكمن الخطورة العلمية والدينية في دعوة الاسترآبادي في اتخاذ الحروف وأرقامها وسيلة لتأويل القرآن الكريم تأويلاً باطنياً يخرج بالنصوص عن مقاصدها الشرعية، وهو ما أدى لصدام حتمي مع السلطة الزمنية والمؤسسة الدينية في آن واحد؛ إذ يذكر صاحب كتاب الذريعة أن نهايته كانت قاسية، حيث قُتل وأُحرق جسده في عام 796 هـ على يد ميران شاه بن تيمورلنك، ملك بلاد خراسان، وذلك استناداً إلى فتوى شرعية أصدرها علماء السنة في تبريز قضت بمرقه من الدين. ورغم هذه النهاية، فإن أتباعه الملقبين بالحروفيين أبوا التسليم بموته، بل أسبغوا عليه صفات اللاهوت واعتبروه تجسداً إلهياً ، وظلوا يترقبون رجعته تحت شعار سيد السيف ؛ وهذا يشرح لنا كيف تتحول الشخصية الكاريزمية بعد مقتلها إلى رمز مخلص في نظر الأتباع، حيث يتم استبدال الواقع التاريخي (القتل) بأمل غيبي (العودة للانتقام)، مما يمنح الحركة ديمومة روحية تتجاوز الفشل العسكري أو السياسي الذي واجهته في حياتها.

مدعو المهدية في القرون المتأخرة :

القرن التاسع الهجري :

جسّد القرن التاسع الهجري فصلاً جديداً من فصول التداخل بين العقيدة الغيبية والطموح العسكري، تمثل في حركة محمد بن فلاح (1400 - 1465 م / 866 هـ)، الذي تدرج في دعواه الدينية تدرجاً استراتيجياً؛ ففي بداياته حوالي عام 1415 م، طرح نفسه بصفة وليّ المهدي والقائم بأمره، وهي مرتبة تمهد القبول الشعبي قبل الانتقال للمرحلة القصوى. ومع حلول عام 1436 م، واستناداً إلى قاعدة صلبة من الأتباع في جنوب غرب إيران، أعلن صراحةً أنه المهدي المنتظر وألقى ما عُرف بخطاب المهدي ، وهو إعلان تجاوز الوعظ الديني إلى الفعل الثوري. وتكمن الدلالة التاريخية والعلمية في حركته في تحولها إلى قوة تدميرية اصطدمت بالمركزية الدينية التقليدية، حيث لم يثنهِ معارضو بدعته في الحواضر الكبرى عن شن حملات عسكرية بلغت حد تدمير الحلة و النجف ، وهي مدن ذات رمزية قدسية عالية، مما يعكس راديكالية الحركات التي تعتقد بامتلاك الحقيقة المطلقة. وقد نجح محمد بن فلاح في مأسسة دعواه بتأسيس الدولة المشعشعية في منطقة خوزستان (الأهواز وما حولها)، وظل الحكم في أعقابه كحكام إقليميين إلى أن طويت صفحة دولتهم على يد الصفويين في عام 1508 م. ويشرح هذا المسار كيف يمكن لادعاء المهدوية أن ينتقل من حيز الفكرة الباطنية إلى الدولة السلطوية التي تفرض رؤيتها بالحديد والنار، وتستبدل شرعية النسب أو الشورى بشرعية التفويض الإلهي المزعوم، وهو ما يفسر صمود هذه الدولة لعقود قبل استيعابها في كيانات إمبراطورية أكبر.

القرن العاشر الهجري :

وقد شهد القرن العاشر الهجري امتداداً جغرافياً وعقدياً لدعاوى المهدوية نحو بلاد الهند والسند، متمثلاً في شخصية سيد محمد جونبوري (1443 - 1505 م)، الذي ينحدر نسبه من الإمام موسى الكاظم. وتتجلى في سيرته استراتيجية التدرج في الإعلان ؛ إذ اختار أقدس البقاع الإسلامية، المسجد الحرام، ليعلن أنه المهدي الموعود بين الركن والمقام في عام 901

هـ، ثم كرر هذا الإعلان في مسجد تاج خان سالار بمدينة أحمد آباد عام 903 هـ، وصولاً إلى إعلانه الثالث في بادلي بولاية غوجارات عام 905 هـ. ويشرح هذا التكرار رغبة المدعي في ترسيخ شرعيته وتحدي المعارضة العلمائية التي واجهته بضراوة في الهند، مما أدى لنشوء طائفة المهدوية التي لا تزال آثارها باقية. وفي سياق غامض من القرن ذاته، برزت الطائفة الذكرية التي تعتقد بظهور المهدي في عام 977 هـ / 1570 م تقريباً؛ وهي طائفة تتسم بالانغلاق العقدى والسرية التامة، حيث يرتكز إيمانهم على كتب مقدسة مخفية بلغة البلوش، أهمها مهدي نامه ، وهو كتاب يتناول سيرة مهديهم وتعاليمه بعيداً عن متناول المحققين والعلماء. وتكمن الدلالة الدينية لهذا المحتوى في كيفية تحول المهدوية من عقيدة انتظار عامة إلى نصوص مقدسة سرية تؤسس لهوية طائفية منعزلة، تعتمد على الكتمان (الإخفاء) كوسيلة للبقاء وحماية المعتقد من النقد العلمي أو الملاحقة السلطوية، وهو ما يفسر قلة المصادر العلمية المتاحة حول حقيقة معتقداتهم حتى يومنا هذا.

القرن الحادي عشر الهجري :

واستمراراً لسلسلة الحركات التي زاوجت بين التصوف والسياسة تحت راية المهدوية، برزت في مطلع القرن الحادي عشر الهجري شخصية أحمد بن عبد الله محلي (967 - 1022 هـ / 1560 - 1613 م)، وهو متصوف مغربي اتخذ من نقد الأوضاع القائمة منصة لدعوته. ففي عام 1610 م، أعلن محلي نفسه المهدي المنتظر ، مدفوعاً بنزعة إصلاحية راديكالية دفعته لمجابهة معلمه الصوفي أولاً، ثم الصدام المباشر مع سلالة السعديين الحاكمة؛ حيث عاب عليهم مهادنة القوى الاستعمارية الغربية والقعود عن الجهاد. وتكمن الدلالة العلمية والدينية في حركته في استغلاله لمفهوم المهدي المخلص كأداة لاستنهاض الهمم ضد الظلم الخارجي والضعف الداخلي، مما أكسبه قاعدة شعبية عريضة. غير أن نهاية حركته كانت مأساوية وتراجيدية، إذ تمكن السعديون من القبض عليه في مدينة مراكش عام 1613 م، ونفذوا فيه حكم الإعدام

بقطع رأسه وتعليقها على أسوار المدينة حتى تلاشت معالمها، في رسالة سياسية قاسية تهدف إلى كسر هيبة المعصوم في أعين العامة. ويشرح هذا المشهد التاريخي سيكولوجية الجماهير المتدينة؛ فبينما تحطم إيمان فريق من أتباعه بقدرته على الانتصار الدائم بعد رؤية رأسه معلقة ففروا هاربين، رفض فريق آخر التصديق بموته، متمسكين بعقيدة الانتظار بزعم أنه أخفى نفسه عن أعين الناس (الغيبة)، وهي حيلة دفاعية ذهنية تلجأ إليها الجماعات المقهورة للحفاظ على بقاء فكرتها رغم الهزيمة المادية الساحقة.

القرن الثالث عشر الهجري :

واتسم القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بزخم استثنائي في حركات المهدوية التي تجاوزت الطابع الروحي لتتحول إلى ثورات تحررية كبرى ضد الاستعمار الغربي، أو حركات دينية أحدثت انشطاراً في النسق الإسلامي التقليدي؛ ففي مطلع هذا القرن، برز آغا محمد رضا (1799 م)، وهو متصوف من أصل إيراني استقر في البنغال، حيث استغل نفوذه الروحي ليحشد الآلاف تحت راية المهدوية في مواجهة شركة الهند الشرقية البريطانية عام 1799م، مطالباً بالاستقلال ومهاجماً مملكة كاشاري، إلا أن حلمه السياسي انكسر أمام القوة العسكرية البريطانية، فانتهى به المطاف سجيناً مدى الحياة في كلكتا، مما يوضح كيف كانت المهدوية صرخة احتجاج سياسي مبكرة في الهند. وفي ذات السياق الزمني والفكري، ظهر في إيران علي بن محمد رضا الشيرازي الملقب بالباب (1235 - 1266 هـ / 1819 - 1850 م)، الذي أعلن في عام 1844م أنه الباب الموصل للمهدي ثم ادعى المهدوية ذاتها، مؤسساً حركة البابية التي اتسمت بشطحات عقدية أدت لصدام مع الدولة القاجارية والمؤسسة الدينية، وانتهت بإعدامه رمياً بالرصاص في تبريز عام 1850م؛ ورغم انحسار البابية، إلا أنها شكلت النواة لما عُرف لاحقاً بالدين البهائي. أما الأنموذج الأقوى والأكثر تأثيراً في التاريخ الحديث، فهو محمد أحمد المهدي (1259 - 1302 هـ / 1843 - 1885 م) في السودان،

وهو شيخ صوفي من الطريقة السمانية أعلن مهدويته في يونيو 1881م بناءً على رؤيا منامية زعم فيها تنصيب النبي ﷺ له، مستثمراً حالة السخط الشعبي ضد الحكم التركي المصري والإدارة البريطانية؛ وقد نجحت حركته عسكرياً بشكل مذهل، حيث سيطر على كردفان واستولى على الخرطوم في عام 1885م بعد هزيمة الجيوش الإنجليزية، غير أن المنية وافته بعد أشهر قليلة من انتصاره الأكبر في نفس العام، لتستمر دولته تحت قيادة خليفته عبد الله التعايشي حتى سقوطها في معركة أم درمان عام 1898م .وتكشف هذه الحركات مجتمعة عن تحول عقيدة المهدي في هذا القرن من انتظار غيبي إلى أيديولوجيا ثورية قادرة على تعبئة الجماهير وإسقاط النظم السياسية، لتعيد صياغة مفهوم الخلاص الديني في قالب النضال الوطني والاجتماعي.

القرن الرابع عشر الهجري :

ثم شهد القرن الرابع عشر الهجري تحولات عقدية كبرى وانعطافات حادة في مفهوم المهدوية، حيث برزت في الهند البريطانية شخصية غلام أحمد القادياني (1250 - 1326 هـ / 1835 - 1908 م)، الذي أحدث شرخاً معرفياً بادعائه الجمع بين مقام المهدي المنتظر و المسيح عيسى بن مريم في آن واحد. وتكمن الدلالة العلمية لحركته في تجاوزه لمفهوم الانتظار إلى ادعاء تلقي الوحي ، مما أدى لتأسيس الجماعة الأحمدية في عام 1889 م؛ وهي حركة وإن انتسبت للإسلام، إلا أنها واجهت رفضاً قاطعاً من المؤسسات الدينية الإسلامية الكبرى التي اعتبرت ادعاء النبوة بعد النبي ﷺ خروجاً عن ثوابت الدين، وهو ما تُوّج قانونياً في عام 1974 م بقرار البرلمان الباكستاني الذي صنف الأحمديين كأقلية غير مسلمة. وفي سياق مختلف اتسم بالعنف المسلح، ظهرت حركة جهيمان العتيبي في مكة المكرمة، حيث أعلن صهره محمد بن عبد الله القحطاني (1935 - 1979 م) مهدياً منتظراً، وتمت مبايعته قسراً بين الركن والمقام في المسجد الحرام فجر يوم 20 نوفمبر 1979 م. ويشرح هذا الحدث التاريخي تصادم

الأسطورة بالواقع؛ فبينما كان الأتباع يعتقدون بعصمة المهدي من القتل، سقط القحطاني صريعاً برصاص القوات السعودية في المسعى بتاريخ 4 محرم 1400 هـ، مما أحدث زلزالاً نفسياً وتشككاً عميقاً لدى المجموعة التي صُدمت بموت مخلصها في رابع أيام العملية. وفي جنوب شرق آسيا، وتحديداً في ماليزيا عام 1975 م، ظهر عارفين محمد (1943 - 2016 م) المعروف بآية بين ، مؤسس ما يسمى مملكة السماء ، والذي ذهب بعيداً في شطحاته بادعاء الاتصال المباشر بالسماء، بل واعتقاد أتباعه أنه تجسيد كوني لشخصيات مقدسة متنوعة مثل يسوع وشيفا وبوذا ومحمد ﷺ. وتكشف هذه النماذج الثلاثة عن تباين توظيف المهدوية في العصر الحديث؛ فمنها ما استُخدم لتأسيس طوائف دينية بديلة، ومنها ما كان وقوداً لفتن مسلحة في أقدس البقاع، ومنها ما انزلق نحو التلفيقية الدينية التي تخلط بين العقائد المختلفة، مما يعكس اضطراب المفاهيم الدينية عند مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية المعاصرة.

القرن الخامس عشر الهجري :

واستمراراً لظاهرة الادعاءات المهدوية التي لم تنقطع عبر العصور، شهدت أواخر القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر الهجري أحداثاً جسيمة هزت الوجدان الإسلامي لارتباطها بمواقع مقدسة ودماء معصومة؛ ففي فجر يوم 20 نوفمبر 1979 م، استغل جهيمان العتيبي رمزية المسجد الحرام ليعلن صهره محمد بن عبد الله القحطاني (1935 - 1979 م) مهدياً منتظراً، حيث بويع قسراً بين الركن والمقام. وتكمن الدلالة الدينية العميقة في هذه الحادثة في تصادم المعتقدات المتوهمة مع الحقائق القدرية، إذ سقط القحطاني قتيلاً في رابع أيام الاحتلال الموافق 4 محرم 1400 هـ أثناء تبادل إطلاق النار مع القوات السعودية في المسعى ؛ وهو ما أحدث زلزالاً من الشك في نفوس أتباعه، لكون العقيدة المستقرة تقتضي بأن المهدي الحق لا يُقتل عند ظهوره بل يُمكّن له، مما كشف زيف هذه الدعوة مبكراً. وفي سياق صوفي مثير للجدل، برزت شخصية رياض أحمد جوهر شاهي، الذي تجاوز في دعواه حدود المهدوية

ليزعم أنه المسيح و كالكي (المخلص في الهندوسية)، مسوقاً لأتباعه خرافات بظهور صورته على الأجرام السماوية والحجر الأسود، قبل أن يختفي عن الأنظار في عام 2001 م وسط تضارب الأنباء حول وفاته في ذلك العام أو في عام 2003 م، مما يجسد نمطاً من المهدوية القائمة على تغييب العقل والتعلق بالخوارق الصورية. أما في العراق المعاصر، فقد ظهر ضياء عبد الزهرة كاظم في عام 2006 م مدعياً المهدوية، ومنظماً جماعة مسلحة عُرفت بـجند السماء ؛ وفي أواخر يناير 2007 م، قاد تحركاً عسكرياً نحو النجف بهدف تصفية المراجع الدينية والاستيلاء على الحوزات العلمية، فيما عُرف بـمعركة النجف عام 2007 م، حيث انتهى أمره بالقتل مع المئات من أتباعه في مواجهة دامية مع القوات العراقية. ويشرح هذا التتابع التاريخي خطورة تحول فكرة المهدي من مفهوم روحي للعدالة إلى ذريعة لاستباحة الدماء واحتلال المقدسات، وكيف أن هذه الحركات غالباً ما تنتهي بانهيار ذاتي عند أول اصطدام بالواقع العسكري أو عند مقتل المهدي المزعوم، مما يثبت أن المهدوية الحقة لا تقوم على إزهاق الأرواح أو ترويع الآمنين في رحاب الله.

التحليل العقلي والنفسي لظاهرة ادعاء المهدية :

ولتحليل هذه الظاهرة التاريخية الممتدة يتطلب الغوص في أعماق النفس البشرية والظروف الاجتماعية والسياسية التي شكلت مسرحاً لهذه الادعاءات. وتُمثّل ظاهرة ادعاء المهدية عبر التاريخ الإسلامي تقاطعاً معقداً بين سيكولوجيا الفرد و سوسيولوجيا المجتمع ، حيث لا يمكن فصل الشخصية المدعية عن المسرح الزماني والمكاني الذي تظهر فيه. إنَّ الغوص في أعماق هذه الظاهرة يكشف عن ملامح دقيقة تشكلت نتيجة تضافر العوامل النفسية والبيئية في آن واحد.

أولاً: ملخص المسار التاريخي المؤدي إلى بانوراما المهدوية:

لم تكن المهدوية عبر القرون مجرد فكرة دينية جامدة، بل كانت كائناً حياً يتشكل حسب مقتضيات العصر:

فكانت البدايات في القرن 2-3 هـ وتلك كانت محاولات لتعويض الانكسار السياسي (الأموي/العلوي) وصياغة هوية عقدية (الغيبة). ثم مرحلة التمكين للخلفاء والدول المستقرة المترامية الأطراف كما في القرن 4-6 هـ وهنا تحولت المهدوية إلى أيديولوجيا دولة كما هو في (الفاطميين، الموحدين)، حيث استُخدمت العصمة والمهدوية لفرض سيطرة مركزية مطلقة. أما في مرحلة المقاومة والتثوير كالقرن 11-13 هـ وفيها استُخدمت المهدوية كوقود للجهاد ضد المستعمر (المهدية في السودان، محلي في المغرب، آغا رضا في الهند). وأخيرا مرحلة التلفيقية والشطح كما القرن 14-15 هـ ، وفيها ظهرت ادعاءات تدمج بين الأديان أو تعتمد على العنف المسلح الصرف (القاديانية، جهيمان، جند السماء).

ثانياً: التحليل الواقعي وجواب السؤال : لماذا ادعى هؤلاء الأشخاص المهدية؟:

إنَّ الإجابة على التساؤل الجوهري حول الدوافع الواقعية التي حدت بهؤلاء الأشخاص لادعاء المهدوية تكمن في فهم تضافر ثلاثة محركات أساسية صاغت وجدانهم وحركت طموحاتهم؛ أولها حالة الفراغ السياسي والوهن الذي يصيب مفاصل الدول، حيث تبرز دعاوى المهدوية دوماً كظاهرة مرتبطة بلحظات السيولة السياسية أو قبيل سقوط الكيانات الكبرى، ففي تلك الفترات التي يسود فيها الاضطراب ويفقد الناس ثقتهم في السلطة القائمة، كما حدث تماماً عند ظهور ابن أبي الطواجين تزامناً مع دبيب الضعف في دولة الموحدين، يبرز المدعي ليمارس دور المنقذ الذي يملأ الفراغ ويعد بإعادة الانضباط للواقع المنهار. ويتصل بهذا المحرك رغبة

عارمة في حيازة الشرعية المطلقة التي لا تقبل المراجعة؛ فبينما يظل الحكم القائم على مفاهيم كـ الشورى أو الوراثة أو البيعة السياسية عرضة للمنازعة والنقد والمعارضة، فإن الحكم تحت راية المهدوية يمنح صاحبه صبغة من التفويض الإلهي والقداسة الروحية التي ترفع قراراته فوق مستوى المساءلة البشرية، وهو ما تجلى بوضوح في حركيّة ابن تومرت الذي استثمر هذا المفهوم لبسط سلطة مطلقة لا تُناقش. أما المحرك الثالث والأعمق أثراً، فهو استغلال رد الفعل الشعبي تجاه الظلم الاجتماعي المتفشي؛ فعندما يطبق الفقر ويستشري الجور وتنسد آفاق الإصلاح الدنيوي، تتحول المهدوية في ذهنية هؤلاء المدعين إلى عدالة متخيلة وسراب يلوح للمسحوقين، فيعمد المدعي إلى توظيف هذا الحلم الروحي لجذب المستضعفين والتفافهم حوله، موهماً إياهم بأن ظهوره هو الخلاص القدرِيّ من واقعهم البائس، وبذلك تتحول المهدوية من عقيدة انتظار غيبية إلى أداة سياسية واجتماعية فعالة لانتزاع السلطة وتغيير خارطة النفوذ تحت غطاء القداسة.

ثالثاً: الأسباب العقلية والسايكولوجيا المسيطرة على مدعي المهدية :

تتداخل الأسباب العقلية والمنطلقات السيكولوجية في تكوين شخصية مدعي المهدوية لتصوغ حالة نفسية مركبة وشديدة التعقيد، تبدأ ملامحها بما يمكن وصفه بتضخم الأنا أو النرجسية المطلقة ؛ حيث يتملك المدعي اعتقاد جازم وأحادي بأنه الشخص الوحيد المصطفى من لدن العناية الإلهية والموكل إليه حصراً مهمة إصلاح الكون وتقويم اعوجاج البشرية، مما يمنحه شعوراً بالاستعلاء الروحي والتميز القدرِيّ. وينبثق عن هذا الشعور انغماس كلي في التأويل الباطني للنصوص الدينية، إذ يغرق المدعي في ليّ عنق الآيات والأحاديث لتصب في مصلحة دعواه، فيحول الصدف التاريخية العابرة أو مجرد تشابه الأسماء (كأن يوافق اسمه محمد بن

عبد الله) إلى إشارات قطعية وبراهين سماوية لا تقبل الشك على صدق مهدويته، مستخدماً هذا النسق التأويلي لبناء شرعية داخلية تحميه من التشكك. وتكتمل هذه المنظومة النفسية بآلية الهروب من الواقع التي تعمل كمصدة دفاعية عند وقوع الهزيمة أو الفشل العسكري؛ فحين يواجه المدعي انكساراً مادياً ساحقاً على أرض الواقع، يعمد عقله إلى تعويض هذا العجز بادعاء الغيبة أو الاتصال السري بالسماء ، وهي حيلة نفسية تهدف إلى ضمان الاستمرارية الروحية للدعوة وتحويل الإخفاق المادي إلى لغز غيبي، مما يقي المدعي وأتباعه من مرارة الاعتراف بالنهاية ويحفظ للكيان صموده المتخيل عبر الزمن.

رابعاً: سبل الإقناع وكيفية استقطاب الأتباع

اعتمد مدعو المهدوية في استقطاب أتباعهم وإحكام السيطرة على عقول الجماهير على استراتيجيات إقناع مدروسة تدمج بين الوعظ الديني والدهاء السياسي، حيث بدأت هذه السبل باللعب الممنهج على الأوتار العاطفية عبر استحضار أحاديث الفتن والملاحم التي تداعب خيال البسطاء التواقين للعدل والمخلصين من الجور، مما يخلق حالة من الانتظار النفسي المشحون الذي يسهل معه تقبل أي دعوى مهدوية. ويتعزز هذا التأثير العاطفي بادعاء الكرامات والخوارق كوسيلة حسية لإثبات الاتصال بالمقدس؛ فتنوعت أساليبهم بين استخدام الشعوذة والتمويه كما فعل ابن أبي الطواجين، أو استغلال الظواهر الطبيعية وتأويلها بصرياً كما في حالة شاهي، وصولاً إلى الاعتماد على الرؤى المنامية التي زعمها المهدي السوداني لتثبيت شرعيته في نفوس مريديه. ولم يغفل هؤلاء المدعون أهمية الشرط النسبي في الذهنية الشعبية، فعمدوا إلى تغيير أنسابهم أو تزويرها لإثبات اتصالهم بالعترة النبوية (سواء من

السبطين الحسن أو الحسين رضي الله عنهما)، كما تجلى في مسلك ابن تومرت والقحطاني وجونبوري، لإدراكهم أن النسب العلوي هو المفتاح الرمزي للقبول العام بمكانة المهدي. وتكتمل هذه المنظومة الإقناعية بتطويع العصبية القبلية وتحويلها من قوة اجتماعية إلى أداة عقدية؛ حيث يحرص المدعي الذكي على الارتكاز على قبيلة ذات شوكة وقوة، مثل قبائل مصمودة مع ابن تومرت أو كتامة مع المهدي الفاطمي، وبذلك ينصهر المعتقد الديني في بوتقة الحمية القبلية، فتصبح القبيلة تدافع عن مهديها كجزء من الدفاع عن مجدها وكيانها، مما يحول الفكرة من مجرد رأي فردي إلى حركة تمرد اجتماعي وعسكري متلاحمة يصعب اختراقها.

خامساً: لماذا اقتنع الناس بهؤلاء المدعون ؟

إنَّ تحليل الأسباب التي دفعت الجماهير للاقتناع بمدعي المهدوية والالتفاف حولهم يكشف عن جذور أعمق من مجرد الجهل بالدين، إذ يبرز الاحتياج إلى اليقين كدافع محوري في أزمنة الاضطراب السياسي والاجتماعي؛ فالبشر في لحظات العجز التاريخي والشعور بالاستلاب يبحثون لا شعورياً عن بطل خارق أو مخلص قدري يمتلك القدرة على إنهاء معاناتهم بضربة واحدة حاسمة، وهو بالضبط ما يقدمه المدعي كحل جاهز ومريح يتجاوز تعقيدات الواقع ومسارات الإصلاح الطويلة. ويتعزز هذا الاقتناع بما يحيط به المدعي نفسه من هالة قدسية مصطنعة، تجعل من مجرد التفكير في نقد أفكاره أو مساءلة دعاواه نوعاً من الهرطقة أو المروق الديني في نظر الأتباع، مما يؤدي إلى إغلاق باب العقل بالكامل وفتح باب التسليم المطلق الذي يغيب معه المنطق أمام الرغبة الجامحة في الخلاص. وبذلك تتحول العلاقة بين المدعي وتابعه من علاقة فكرية إلى ارتباط روحي عاطفي مشحون، يرى فيه التابع في شخص المدعي تجسيداً لآماله المحبطة، مما يفسر استماتة الجماهير في الدفاع عن هذه

الرموز حتى في أحلك لحظات انكسارها المادي، حيث يصبح الإيمان بالمهدي المزعوم هو الملاذ الأخير لحماية توازنهم النفسي أمام واقع مرير لا يملكون أدوات تغييره.

سادسا : مدعوا النبوة كذبة متيقنون من كذبهم :

إنَّ تحليل البنية النفسية لمدعي النبوة أو المهدوية يكشف عن تداخل معقد بين الوعي بالتزييف والاندماج الكامل في الدور، فليس بالضرورة أن يكون كل مدعٍ كاذباً مستيقظاً طوال الوقت، بل إنَّ الكثير منهم يقعون ضحية لآليات نفسية وعقلية تجعلهم يتحملون هذا العبء الثقيل، ويمكن تفسير ذلك من خلال عدة مسارات متوازنة:

ففي المقام الأول، يلعب الاستغراق في الدور دوراً حاسماً، حيث يبدأ الشخص بادعاء كذبة لتحقيق مكسب سياسي أو اجتماعي، ومع التفاف الأتباع وتقديسهم له، يبدأ العقل البشري في ممارسة نوع من الخداع الذاتي لحماية توازنه النفسي؛ فالعقل لا يستطيع العيش في صراع دائم بين كونه نصاباً وبين نظرات التبجيل في عيون الآلاف، فينتقل تدريجياً من خانة الكاذب المتعمد إلى خانة المصدق الواهم . هذه الظاهرة تُعرف في علم النفس بـ التنافر المعرفي ، حيث يقوم الشخص بتغيير قناعاته الداخلية لتتفق مع سلوكه الخارجي، حتى يصل إلى مرحلة يوقن فيها فعلاً أنه صاحب رسالة، وهذا اليقين الزائف هو الذي يمنحه القوة لمواجهة الحكومات والوقوف أمام المشانق بصلابة تثير دهشة المراقبين.

أما عن تحمل عبء مواجهة السلطات والموت المحقق، فإنَّ المحرك هنا هو هوس العظمة الذي يطغى على غريزة البقاء؛ فالمدعي يرى في الموت في سبيل دعواه تخليداً لذكراه أو غيبة صغرى تمهد لعودة أسطورية، فهو لا يرى الموت كنهاية بيولوجية، بل كجزء من السيناريو المقدّس الذي رسمه لنفسه. إنَّ لذة الشعور بالتميز والسيادة على عقول البشر تفرز نوعاً من

النشوة النفسية التي تُغيب منطق الربح والخسارة المادي، فيصبح سياط الجلاد أو تهديد الخليفة مجرد ابتلاءات تزيد من مصداقية دوره أمام نفسه وأمام أتباعه.

وفيما يخص تحمل إثم الكذب في الغيبيات ، فإنَّ هؤلاء الأشخاص غالباً ما يمتلكون جهازاً أخلاقياً تأويلياً خاصاً بهم؛ فهم لا يرون أنفسهم كاذبين بالمعنى التقليدي، بل يعتقدون أنهم يؤولون الحقيقة أو أنهم المرآة التي تتجلى فيها علامات الساعة. إنهم يقنعون أنفسهم بأن الغاية (وهي الإصلاح أو الحكم أو تغيير المجتمع) تبرر الوسيلة (وهي ادعاء الاتصال بالسموات)، وبمرور الوقت، تذوب الحدود بين الحقيقة والخيال في عقولهم، فيصبح الكذب لديهم حقيقة باطنية لا يشعرون معها بوخز الضمير التقليدي.

لذا، فإن التفسير الأقرب للواقع هو أنهم ليسوا مجرد جهلة بالمعنى البسيط، بل هم غالباً ذوو ذكاء اجتماعي وقدرة خطابية عالية، لكنهم وقعوا في فخ الذهان الجماعي ؛ حيث كذبوا كذبة كانت في البدء وسيلة، ثم تحولت بفعل التقديس والنجاح الأولي إلى حقيقة مطلقة سكنت قرارة نفوسهم، مما جعلهم يتقدمون نحو حتوفهم بقلوب لا تشعر بالزيف، بل بنشوة البطولة المقدسة المتوهمة.

ادعاء المهدية مسلسل متكرر :

إنَّ ظاهرة ادعاء المهدوية تُمثّل مسلسلاً درامياً متكرراً في التاريخ الإنساني، لم يقتصر يوماً على حقبة زمنية بعينها ولم يمت بتعاقب الدهور والقرون، بل ظلَّ كالنار الكامنة تحت الرماد، كلما خبا أمره في بقعة جغرافية أو حقبة سياسية، عاد لينتشر مرة أخرى بزخمٍ جديد وأدواتٍ عصرية، مستغلاً في ذلك الدوافع النفسية والاجتماعية التي لا تتغير بتغير الزمان؛ فالإنسان في لحظات العجز والانكسار التاريخي يميل بفطرته للبحث عن المخلص القدري الذي يقلب الموازين بلمحة خاطفة، وهو ما يجعل من عقيدة المهدية الصحيحة الثابتة في السنة مادةً دسمة

للاستغلال من قِبل النرجسيين أو الطامحين للسلطة أو حتى الواهمين الذين تضخمت لديهم الأنا حتى خُيّل إليهم أن العناية الإلهية قد اصطفتهم دون العالمين، فيتحول هذا الحلم الروحي بالعدالة المطلقة إلى وسيلة للّيّ أعناق النصوص وتوظيف الفتن والملاحم لمداعبة خيال البسطاء التواقين للخلاص من الظلم والجور.

ويتصل سياق هذه الظاهرة ببيئات السيولة السياسية حيث تضعف الدول وتتخلخل شرعية الحكام، فيبرز المدعي ليمارس دور المنقذ الذي يملأ الفراغ بصبغة الشرعية المطلقة التي لا تقبل المراجعة أو النقد، مستنداً إلى تفويض إلهي مزعوم يرفع قراراته فوق مستوى المساءلة البشرية، ومن هنا نجد أن التاريخ الإسلامي حافل بنماذج من هؤلاء الذين استغلوا العصبية القبلية أو المظلومية الاجتماعية لبناء كيانات قامت في البدء على دعوى المهدية ثم انتهت بمآسٍ دموية وصراعات مزقت جسد الأمة، مما يؤكد أن القضية ليست مجرد جهل ديني عابر، بل هي تضافرٌ معقد بين الاحتياج لليقين في زمن الاضطراب وبين ذكاء المدعي في استخدام الكرامات المتوهمة أو الرؤى المنامية أو حتى تزوير الأنساب ليحقق الشرط النسبي المستقر في الذهنية الشعبية، وبذلك تظل المهدوية المدعاة أداة سياسية واجتماعية فعالة لانتزاع النفوذ تحت غطاء القداسة.

وبناءً على هذا الاستقراء التاريخي والنفسي، وجب التحذير بأشد العبارات من كل من تسوّل له نفسه ادعاء المهدوية في هذا الزمان أو غيره، فالحقيقة الناصعة أن المهدي الذي بشر به الصادق المصدوق ﷺ هو علامة غيبية يُجريها الله في وقتها المعلوم وفق سننه الكونية، وليس مشروعاً حزبياً أو حيلة تنظيمية يتولاها آحاد الناس من عند أنفسهم، وإن الانجرار خلف هؤلاء المدعين ما هو إلا انتحارٌ عقلي وضلالٌ منهجي يفتح أبواب الفتنة ويُزهق الأرواح ويُفسد الدين والدنيا، فكم من دماءٍ أُريقت وكم من حرماتٍ استُبيحت تحت رايات المهدوية الزائفة التي لم

تجلب للأمة إلا الخراب والتمزق، والواجب على المسلم الحق أن يعتصم بالكتاب والسنة وأن يعرض هذه الادعاءات على موازين العلم الراسخ، مُدركاً أن طريق الإصلاح يبدو في العمل الصالح والجهد المتواصل لا في انتظار الأوهام السردابية أو اتباع كل ناعقٍ يدعي الوصل بالسماء لغرضٍ دنيوي زائل.

إن الحذر من هؤلاء المتاجرين بالعواطف الدينية هو صمام الأمان لحماية بيضة الإسلام وعقول الشباب من التلوث بخرافات الباطنية المعاصرة التي تطل برأسها بين الحين والآخر؛ فكل من يدعي المهدوية اليوم إنما هو كذابٌ أشر أو مفتونٌ واهم، وقواعد الشرع في المهدي واضحة لا لبس فيها، فليس هو بالذي يحتاج لترويج نفسه عبر الطلاسم أو كتب السحر أو ادعاءات الاستحواذ التنظيمي، بل هو آية من آيات الله تظهر بوضوح الشمس في رابعة النهار حين يأذن الله، وما عدا ذلك فهو باطلٌ يجب نبذه والحذر منه ومن الانجرار خلف أصحابه، ليبقى الدين صافياً من كدر الخرافة، ولتبقى الأمة متيقظة لمكر المرجفين الذين يريدون اغتيال عقلها الجمعي بوعودٍ كاذبة ونبوءاتٍ مخترعة لم ينزل الله بها من سلطان.

وقوف العلماء لتلك الخرافة والرد عليها في حينها :

إنَّ وقوف علماء الأمة وحفاظها سداً منيعاً أمام خرافات أدعياء المهدوية لم يكن مجرد ترفٍ علمي، بل كان ضرورة شرعية لحماية بيضة الدين وصيانة عقائد المسلمين من العبث، وهو ما يتجلى بوضوح في تلك العناية الفائقة التي أولاها جهابذة المحدثين لجمع الأحاديث الواردة في شأن المهدي وتصنيفها في مؤلفات مستقلة. فكما اعتنى هؤلاء الأعلام بجمع السنن النبوية شرحاً وتأليفاً، كان للأحاديث المتعلقة بالمهدي القسط الأوفى من هذا الاهتمام؛ حيث انبرى أئمة كبار مثل أبو بكر بن أبي خيثمة، والحافظ أبو نعيم، وعماد الدين بن كثير، والحافظ السيوطي في كتابه العرف الوردي، والفقيه ابن حجر المكي في القول المختصر، وعلي المتقي

الهندي، وملا علي القاري في المشرب الوردي، ومرعي بن يوسف الحنبلي، وصولاً إلى الإمام الشوكاني في التوضيح والصنعاني صاحب سبل السلام، لتجريد هذه الأحاديث وبيان صحيحها من سقيمها. إن هذا الحشد العلمي الهائل من التصانيف لم يكن يهدف فقط لإثبات الحقيقة الغيبية، بل كان يرمي بالدرجة الأولى إلى إقامة الحجة العلمية التي تغلق باب الفتن أمام كل ناعق يزعم المهدوية زوراً وبهتاناً، فبينوا للناس أن المهدي له صفات محددة ونسب معروف وعلامات ظاهرة لا تخطئها العين، مما جعل الطريق مسدوداً أمام الدجالين الذين يحاولون ليّ أعناق النصوص لتوافق أهواءهم التنظيمية أو السياسية.

وتبرز الأهمية العظمى لهذا الجهد الحديثي في كونه قد كشف زيف الأدعياء في حينها، ومنع استشراء الخرافة التي تقتات على الجهل بنصوص الوحي، حيث أوضح العلماء من خلال هذه المجلدات أن المهدية مقامٌ إلهي يُجريه الله وفق سننه في آخر الزمان، وليست ادعاءً يُنتحل أو نبوءة سحرية تُستقى من كتب الطلاسم والشعوذة. فبمجرد أن يخرج مدعٍ ليزعم أنه المهدي، يجد أمامه ترسانة من الكتب والمؤلفات التي صنفها هؤلاء الحفاظ، والتي تضبط المسألة بضوابط الآثار النبوية الصحيحة، كحديث أم سلمة رضي الله عنها أن المهدي من عترتي من ولد فاطمة، وهو ما يفضح كل من يحاول ادعاء المهدوية بناءً على مصادفات تنظيمية أو توافق أسماء في كتب مجهولة المصدر مثل الجفر أو شمس المعارف. إن هذا الرد العلمي المتصل عبر القرون، والذي حكى فيه الشوكاني تواتر الأحاديث وجزم فيه الصنعاني بخروج المهدي كبشارة نبوية، قد حمى عقول الشباب من الانجرار خلف الحركات الباطنية التي تلبس ثوب المهدية لتفريق جماعة المسلمين، وبذلك أغلق العلماء بوعيهم وحرصهم أبواب الشر المستطير، وبينوا أن السكوت عن بيان الحق في مثل هذه المسائل يمثل فتنة للباحث عن الحقيقة،

فكانت كتبهم منارات هدى تفرق بين المهدي السني الحق وبين الأوهام التي يروجها غلاة التبديع أو أدعياء القداسة الزائفة.

بياننا لدرء فتنة لا لفتح باب جدل :

تتجلّى الأهمية العظمى لوقوف العلماء في وجه هذه الخرافات والرد عليها في حينها كصمام أمان يحمي بيضة الدين ويصون وحدة الأمة من التمزق؛ فراسخ الفكر يدرك بحسه الشرعي أن السكوت عن الأباطيل في وقت الحاجة إلى البيان يُعد فتنةً تشرع الأبواب أمام المرجفين للعبث بعقول العامة والشباب، ولذلك فإن المسارعة لتفنيد فرية المهدي التبليغي التي نسجها غلاة التبديع لم تكن مجرد ترف فكري، بل هي ضرورة شرعية لإغلاق باب الفتن الذي حاول البعض فتحه عبر استغلال النظم الإدارية للجماعة وتفسيرها بتفسيرات باطنية منحرفة، وبذلك نقطع الطريق على كل من سولت له نفسه تحويل الدعوة القائمة على التوحيد والإيمان وفضائل الأعمال إلى محض أوهام مرتبطة بكتب السحر والشعوذة كشمس المعارف أو الجفر، مما أعاد الأمور إلى نصابها الشرعي الصحيح وأكّد أن المهدية حقيقة غيبية ثابتة بالنصوص وليست أداة للاستقطاب التنظيمي أو لتشويه الخصوم.

إن هذا البيان الذي بين يديك أيها القارىء الكريم قد وضع النقاط على الحروف وبيّن للناس خطر الانجرار خلف الأكاذيب التي لا تستند إلى زمام ولا خطام، حيث كشفنا فيه زيف الربط المتكلف بين موت مشايخ الشورى وبين نبوءات الدجالين، وهو ما ساهم في تحصين المجتمع من الفتن التي يقتات عليها الفتانون؛ فنحن ببياننا هذا لم نقصد الذب عن عرض جماعة بعينها فحسب، بل نعني الذب عن منهج أهل السنة والجماعة كأصل ثابت لا يقبل التأويلات المنحرفة، موضحين أن الاتباع وتقديم النص الصحيح على الرأي والافتراء هو السبيل الوحيد للنجاة من فتن آخر الزمان. وبناءً عليه، فإن قيمة هذا الرد تكمن في كونه منارة كاشفة للباحثين

عن الحقيقة، تمنع وقوع الشباب في فخ التضليل الذي يمارسه من استحلوا الكذب في الخصومة، ليبقى باب الدعوة إلى الله مفتوحاً على بصيرة ونقاء، بعيداً عن كيد الكائدين وترهات المرجفين الذين أرادوا اغتيال العقل السني بطلاسم لا يعرفها إلا من فسدت فطرته وضل سعيه.

فصل فى ذكر بطلان دعوى أن المهدى المنتظر سيكون أميرا لجماعة التبليغ .

وأصدر هذا الفصل بإعلان عقيدة أهل التبليغ والدعوة فى المهدى ، وهى عقيدة اهل السنة والجماعة ، وهي ما ثبت فى صحيح السنة ، بأنه بشرٌ من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن بي علي بن أبي طالب رضي الله عنه سيخرج في آخر الزمان وهو من علامات الساعة الكبرى واسمه محمد بن عبد الله ولقبه المهدي، سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وعلى يديه سيعز الله تعالى هذا الدين وسينتصر أهل الإسلام على اليهود والنصارى وغيرهم ، وسينزل فى عهده المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وقت قتاله الأعور الدجال وسيصلي بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم إماما . وهى إجمالا كما أسلفنا نفس عقيدة اهل السنة والجماعة ولم نعلم من اهل التبليغ مخالف لأهل السنة فى ذلك ، ومن خالف حديثا ثابتا فالحديث حجة عليه ، نرد كلامه وفهمه ونقدم الحديث على رأيه ، وعليه فلا مزايدة على أهل الدعوة من هذه المسألة .

ومن أفرى الفرى وأكذب الكذب ما يدعيه أقوام - فض الله أفواههم وجعل كيدهم فى نحورهم - من أن أهل التبليغ والدعوة يعتقدون خلاف عقيدة اهل السنة والجماعة المجمع عليها منذ عهد الصحابة المرضى عنهم وحتى اليوم !

فيخرج علينا سفيه من سفائهم وفسل من أوغادهم ليرمى أهل التبليغ بما لم نسمعه من قبل منهم ولا من غيرهم ، فنال الأثيم مرتبة السبق في اختراع تلك الكذبة الجديدة، عليه من الله ما يستحق بأسبقية البهتان ! ظنا منه أنه قد قدم للأمة شيئا جليلا وأنقذها من شر عظيم مستطير !

يدعى الهالك ان أهل التبليغ يعتقدون أن المهدى المنتظر الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم سيكون من جماعة التبليغ وليس من غيرهم !

ولا ندرى ما مصدر كذبته هذه ! ولا ما اعتمد عليه في هذا السبق الاعلامي الخطير ، وإن كنا ألفنا التهم من غير خطام ولا لجام ، ولا عزو أو مصدر ولا زمام من كثير من أتباع هذا الفصيل المنتسب زورا للسلف ، سوى ما ينسبونه إلى المجاهيل الذين هم عندهم ثقات ! ولا ندرى بماذا وثقوهم ؟، فيقول قائلهم : (حدثنى من أثق به) وهو يثق به فعلا لأنه على فكره التجريحي التبديعى التكفيري ! ولو انتقد هذا الثقة – عنده - من منهاجه مسألة لألَّف فيه المجلدات وخطب فيه من الخطب العشرات ! وما أحوالهم عنا ببعيدة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فيدعى الأثيم أن عقيدة أهل التبليغ هى أن المهدى المنتظر سيكون منهم ثم يستند إلى طلاسم شركية وكلمات كفرية لا ندرى مصدرها ، ولا معانيها ولا مَن كتبها ، ثم يلصقها بهؤلاء القوم !

ثم يزين الهالك كلامه بتأويلات فاسدة وتفسيرات باطلة لا تمت للطلاسم التى استند إليها بصلة من قريب ولا من بعيد ، ظنا منه تقديم برهان واضح ، فضل الرجل طريقه ووقع فى عقيدة القوم وافترى عليهم ورماهم بما هم منه براء .

ولا ندري إلي متي سيظل من يؤلف في دين الله ويصحح عقائد الناس ويمنهج للشبيبة ويسوس الصحوات يكتب أمثال : (قالوا) و (زعموا) و (عندهم) من غير عزو إلي مصدر ولا سوق دليل علي ذلك ؟ ثم نجد من أهل العلم من يقبل تلك المسطورات بصدر رحب ويزكي تلك المزبورات ويمدحها بكلمات عجيبة ! ووالله لو كتب خصيم لهم معشار ما كتب صاحبهم من الكلام المطلق لأقاموا له محاكم ولم يمرروا ذلك كما فعلوا مع وليهم .

والحق الذى يجب اتباعه ان لا تروج مثل تلك المسائل وخاصة ما يمس عقائد المسلمين إلا بأدلة صريحة وبراهين واضحة تثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن هؤلاء القوم يعتقدون كذا ، بالحرف الواحد لا زيادة عليه ولا نقصانا ، فإن زيد فيه حرف أو نقص منه دخلته الشك والريبة ، وهذا أدعي لأن يطوى مثل هذا الأمر فى مزابل التاريخ ولا يروي ، لأنه فقد أساسه وشرطه الذى بدونه لا قيمة له ولا كرامة ، فضلا عمن يروج له ويتولي كبره ، ولا يقبل فى نشر ذلك الكذب الصريح ثقة إنسان ولا رسوخ قدم عالم ولا شهرة مشهور ، فبغير دليل على تلك الشبهة فهى ساقطة وقائلها كذاب كائن من كان ، ولا يلتمس له عذر بأنه عالم يتثبت بغير تصريح فى المسألة ذاتها إلا من هو أجهل من حمار أهله ! فمنذ متى كان الاستدلال على المسائل بأقوال الرجال المجردة عن الأدلة ؟! ومنذ متى كان التهم ترمي جزافا ويحكم على المتهم بشهادة شاهد لم ير عينا ولم يسمع أثرا ؟!

ثم إن الكاذب مفتري تلك الكذبة لم يحدد لنا شيخا واحدا من مشايخ التبليغ - وهم بعشرات الألوف في كل مصر من الأمصار – ولم يسم رجلا منهم باسمه ولم يذكر لنا مصدرا واحدا من كتب التبليغ تبني ذلك ! فهل صار الحكم علي ملايين من المسلمين بمخالفتهم لمنهج أهل السنة والجماعة واحتكارهم مسألة عظيمة كهذه بل وعلمهم بالغيب وزعمهم ذلك ، بقول علي عواهنه من غير مصدر ولا قائل ؟! اللهم إن هذا باطل لا يرضيك ولا نرضي .

وإننا لنباهل الكاذب المفتري ونمنحه مهلة لأن يحضر لنا أقوال مشايخ التبليغ في أن المهدي المنتظر سيكون من جماعتهم وسيكون أميرا لهم ، فإن فعل وأتي بأقوال مشايخهم وأمراءهم علي حد تعبيره سلمنا له وقلنا بقوله ورددنا علي التبليغ أقوالهم ، وإن عجز عن ذلك لزمه الاعتذار علانية في كل المجلات والكتب التي نشر فيها باطله ، تكفيرا لذنبه عملا بقول ربنا

تبارك وتعالي : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [32] وقول الله تعالي : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[33] ، وقول الله تعالي : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)[34] ، وقول الله تعالي : (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[35] ، فهذه قواعد عامة مبناها من أفسد شيئا فعليه إصلاحه .

هنا : وبعد بيان أنه لم يثبت من أهل الدعوة عالم قال بما رماهم به القوم ، يتبين للمسلمين كذب تلك الفرية وبراءة أهل التبليغ منها ، وبرائتهم على الأصل الذي لم يكن منهم ما يخالفه .

ولا يقبل منك أن تقول لهم (بينوا لنا إذا عقيدتكم) فهذا خطأ محض ، بل أنت بين لنا دليلك علي قولك ، والأصل في كل مسلك ادعي الاسلام ومنهج أهل السنة أنه علي البراءة الأصلية وليس لزاما عليه أن يكتب لك عقيدته حتي تميزه أو تصنفه ، ثم لا يصح لك أيها المسلم أن تمتحن المسلمين فى دقائق العلم ، - لأن هذه المسألة من دقائق العلم التي يجهلها عامة الناس - فبهذا صح القول عن علماء الأمة ، وهي بدعة منكرة لا يقع فيها إلا ضال مضل .

وإن قال قائل (وقد حاول كثير من المدعين استغلال هذه العقيدة , فادعوا زورا وبهتانا أنهم ((المهدي المنتظر)) الموعود به على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ,وقد اختلفت أغراضهم وأحوالهم في ذلك, فقد ادعاها بعضهم وغرضهم إفساد الدين, و إهلاك الحرث والنسل , وبعضهم ادعاها طلبا للملك والسلطان وحرصا على الدنيا, وبعضهم لُبِسَ عليه الأمر لخفة عقله, أو أَثَّر عليه اجتهاده في العبادة والزهد, و قد ادُعِيتَ المهدية لأناس لم يدعوها لأنفسهم ,ادعاها

---

[32] سورة البقرة 160

[33] سورة آل عمران 89

[34] سورة النحل 119

[35] سورة النور 5

لهم أتباعهم ومحبيهم و المغالين فيهم)[36] فإني أزيد عليه نوعا آخر ، وهو وقد ادعيت المهدية لأناس لم يدعوها لأنفسهم ، بل ولم يزعمها محبوهم ، ولكن افتراها عليها خصومهم ورموهم بها كذبا وبهتانا فالله المستعان .

فصل فى الرد على الشبهة (وتفنيد أكاذيب موضوع قراءة فى النبوات) .

إن الهدف الأسمى من تسطير هذه الكلمات وحشد هذه الحجج في هذا الكتاب إنما هو رد الشبهة عن أهل التبليغ وبيان كذب قائليها ببيانٍ جليٍّ يقطع دابر التخرصات، ويزيح غبار الزيف عن وجه الحقيقة؛ إذ إننا نؤمن أن الذبّ عن أعراض المسلمين الموحدين دينٌ نتقرب به إلى الله، فكيف إذا كان هؤلاء الأبرياء يُرمون في عقائدهم ومناهجهم بأشنع التهم وأبعدها عن واقعهم؟ إننا هنا بصدد إقامة الحجة على انعدام الدليل تجاه تلك الافتراءات التي لم يقم عليها برهانٌ شرعي ولا شاهدٌ من واقع، بل هي محض أوهام نسجها خيال الكاتب المريض وتلقفها حاطبو الليل ليروّجوا لها في الموسوعات والمجلات دون أدنى تثبت.

ونحن في هذا الفصل نضع النقاط على الحروف، ونبين التناقض المنهجي التام بين دعوةٍ تقوم على التوحيد وفضائل الأعمال، وبين طلاسم السحر والشعوذة التي حشرها المفتري حشراً في مقاله، ليعلم الجميع أن ما ساقه الكذاب من ربطٍ بين نظام الشورى في الهند أو مصر وبين نبوءات البوني أو الجفر ليس سوى مصادفات تنظيمية تفرضها المصلحة ولا علاقة لها بغيبيات أو انتظارات موهومة، فموت مشايخ مجلس الشورى في مصر -رحمهم الله- وبقاء الشيخ حسن نصر وحده، هو قدرٌ إلهي وتدبير إداري عادي يقع في كل جماعة ومؤسسة، ولا

[36] مقدمة تحقيق (العَرْفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي (6) للحافظ جلال الدين السيوطي) ، تحقيق أبي يعلى البيضاوي .

يستسيغ عقلٌ سويّ ربطه بكتب السحر إلا إذا كان صاحب هذا العقل فاتناً مفتوناً يريد إشعال نار الفتنة وتشويه صورة المصلحين.

إننا نسطر هذا البيان حتى لا تكون فتنة ويكون الأمر واضحاً للجميع، وحمايةً لعقول الشباب والناشئة من أن تتلوث بهذه القاذورات الفكرية التي تُنشر تحت ستار البحوث العلمية وهي أبعد ما تكون عن العلم وأمانته، فالحق أبلج والباطل لجلج، ولا يصح في النهاية إلا الصحيح. إن براءة ساحة أهل الدعوة من هذه الترهات هي حقيقةٌ ناصعة كشمس النهار، وما هذا الكتاب إلا منارة كاشفة لزيف الدجالين وعوناً للمنصفين ليميزوا بين الخبيث والطيب، وبين المنهج السني الصافي وبين الأكاذيب الباطنية التي يُراد إلصاقها به زوراً وبهتاناً، ليبقى باب الدعوة إلى الله مفتوحاً على بصيرة، بعيداً عن كيد الكائدين وافتراء المفترين.

الرد التفصيلي على افتراءات هؤلاء الكذبة الجهال :

يعد منهج أهل الدعوة والتبليغ من أكثر المناهج الإسلامية المعاصرة وضوحاً وبساطة، حيث يقوم في جوهره على الأصول الستة التي تستهدف إحياء الإيمان في القلوب، وحث المسلمين على تعظيم شعائر الله والتحلي بأخلاق النبي ﷺ وصحابته الكرام. وإن المتتبع لمسيرة هذه الجماعة منذ نشأتها في الهند على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، يدرك تمام الإدراك أنها دعوة ترغيبية فضائلية تعتني بظاهر السنة والرقائق، وتبتعد تماماً عن الفلسفات العقدية المعقدة أو التأويلات الباطنية، فمرجعيتهم هي كتب الأحاديث المشهورة التي تحث على العمل والذكر، ولا وجود في أدبياتهم لمصطلحات السحر أو الجفر أو الرموز الغامضة التي يحاول المرجفون إلصاقها بهم زوراً وبهتاناً.

وفيما يخص قضية المهدي المنتظر، فإن حركة التبليغ لم تتطرق يوماً في تاريخها الطويل -لا في كتب مشايخها المعتمدة، ولا في بياناتها التي تُلقى في المشارق والمغارب- إلى كون المهدي

المنتظر سيكون من رجالها، أو أنه سيتولى إمرة الجماعة وقيادتها. إن هذا الزعم ليس سوى تزييف للحقائق وتقول على الغيب واختلاق لتفسيرات باطنية لم تخطر ببال أحد من أهل الدعوة؛ فالجماعة تؤمن بما جاء في نصوص السنة الصحيحة حول المهدي كبقية أهل السنة والجماعة، لكنها لا تربط وجوده بكيانها التنظيمي، ولا تبني خططها الدعوية على انتظاره، بل تعتقد أن وظيفتها هي العمل والجهد لإصلاح الذات والمجتمع في كل زمان ومكان.

وإن الربط المتكلف الذي ساقه البعض بين نظام الشورى الجماعية في الهند أو مصر وبين نبوءات موهومة في كتب السحر، هو محض جهل بمفهوم الأمير وشورى الجماعة وسوء فهم للنظم الإدارية؛ فعدم تعيين أمير فردي بعد وفاة الشيخ إنعام الحسن في الهند، أو نظام السبعة في مصر بعد وفاة الشيخ إبراهيم عزت، لم يكن إلا مصادفة تنظيمية تفرضها المصلحة الشرعية لجمع الكلمة وتوزيع الأعباء الدعوية. والقول بأن هذا الانتقال التنظيمي كان انتظاراً للمهدي هو محض بهتان، بدليل أن المشايخ الذين شكلوا تلك المجالس ماتوا تباعاً ولم يبقَ منهم إلا القليل كالشيخ حسن نصر -حفظه الله-، وهم لم ينبسوا ببنت شفة حول هذا المعتقد المزعوم طيلة حياتهم، مما يقطع بأن الأمر إداري بحت لا علاقة له بطلاسم البوني أو خزعبلات الجفر.

وبناءً عليه، يظهر جلياً انعدام الدليل على تلك الافتراءات التي يروجها خصوم الجماعة، فليست هناك كلمة واحدة مسجلة أو مكتوبة تربط بين مشايخ التبليغ وتلك الرموز السحرية، وإنما هي محاولة لاغتيال الجماعة معنوياً عبر وصمها بالباطنية لتنفير الناس منها. ونحن هنا بصدد كشف هذا الزيف ليعلم الجميع أن منهج التبليغ بريء من هذه الترهات براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وأن هدفنا هو رد الشبهة عن أهل التبليغ وبيان كذب قائليها ليكون الأمر واضحاً للمنصفين، بعيداً عن كيد المرجفين الذين يستقون طعونهم من كتب السحرة ليضربوا بها دعاة السنة، في مسلك ينم عن خصومة فاجرة تفتقر لأدنى معايير الأمانة العلمية والشرعية.

رمي المفتري أهل التبليغ بالجهل واعتقاد شيء بلا دليل منهم :

يقول المفترى - عامله الله بما يستحق - : (ومن النبوءات التي يعتقدها بعض متصوفة أهل السنة وجهلتهم هو إعتقاد مشايخ جماعة التبليغ أن المهدي المنتظر هو الذي سيتولى قيادة الجماعة بعد وفاة شيخهم إنعام الحسن(حضرة جي!!)، وهذا بناء على نبوءة في كتاب السحر: شمس المعارف الكبرى.) أ.هـ.

فبعد أن رماهم بمتصوفة أهل السنة ! يتهمهم باعتقاد نبوءة وينسب ذلك إلى كتاب شمس المعارف الكبرى كمرجع موثق عنده ، فى أن أهل التبليغ يعتقدون أن المهدى المنتظر سيتولى قيادة جماعة التبليغ بعد وفاة شيخهم إنعام الحسن !

ولا يعلم الكاذب ولا يفهم معنى الأمير فى السنة فيترجمها على أنها قيادة !

ثم بجهله المدقع وباحتقاره لعقول القراء ينسب كلاما لم يكتبه التبليغيون - ولم يتبنوه بل والله لا يعرفه جل التبليغيون إن لم يكن كلهم - إليهم ! لأنه يعلم أن أبناء فصيله وأتباع ذيله سيقبلون ويحذرون من القوم وينشرون كلامه من غير نقاش ! ولسان حالهم : (إياك تعترض لتنترض)

وكتاب شمس المعارف الكبرى لأبى العباس أحمد بن علي البوني المتوفى سنة 622 هـ وهو كتاب شر وفتنة وكفر وهو من كتب الخرافيين المقدمه والسحرة والمشعوذين وقد شحنه مؤلفه بالأكاذيب والخرافات الباطلة وما يخالف صريح الكتاب وصحيح السنة ، ويعج بالشركيات والخرافات . ألفه مؤلفه قبل ما يزيد على ثمانمائة سنة !

فانظر اخى المسلم بعين الإنصاف ! كيف يرمى الجاهل الأثيم منهجا دعويا وتنظيما إسلاميا لم يظهر إلا قبل سبعين عاما ! ثم هو لا يحترم عقول قراء مقالاته ، ولا يحترم حتى نفسه ، فحينما يرمى ويبهت ويتهم الأبرياء بهذه الطوام المهلكات بلا بينة ولا برهان ثم حينما يريد أن يدلل

على كلامه يأتى بكلام صوفى ساحر مخرف مات قبل ثمانمائة سنة ، لا يمت القوم له بصله ، ولم يذكروه فى كتاب ولا لقاء ، بل ولا يعرف الكتاب ولا مؤلفه جل التبليغيين إن لم يكن كلهم ! فالله المستعان من كذب الكذابيين ودجل الدجالين .

ومن المؤسف أن ينشر هذا الكذب والدجل ويرمى الأبرياء بالتهم من يظن الناس فيهم الإنصاف ، وهم بعيدون عنه ! بلسان الحال والمقال .

فتنشر المقال مجلة الراصد **فى غرّة صفر / 1425هـ** دون تحقيق مضمونه ، وهل هو موافق للواقع أم مخالف له ، وهل يرتقى لمرتبة بحث محترم أم لا ؟!
ثم ينشر ذلك السيد علي بن نايف الشحود فى موسوعة البحوث والمقالات العلمية بلا تحقيق ولا تدقيق ! ويصدق فيه حقا قول حاطب ليل ، إذ لم يفرق هذا الإنسان بين ما يحل نشره وما يحرم نشره ، فيغتر المحترم بكاتب مقال فيهرع ليجمع من الشرق والغرب مقالات ومقالات ثم يضم بعضها إلى بعض ويخرجها فى مؤلفات تحت اسمه ! وإن كان الإمام جلال الدين السيوطى على رسوخه فى العلم رماه بعض العلماء بأنه حاطب ليل ! فماذا يكون صديقنا بجانبه ؟!، فأسأل الله تعالى له الهداية .

نقل الجهول عن الرافضة ، وإلصاق فهمه السقيم بأهل التبليغ :

ثم قوله : (فقد ذكر البوني فيه أن الإمام جعفر الصادق أخبر في جفره نبوءات الزمان القادم وهي كثيرة جدا ثم قال تحت عنوان: (فصل في معرفة الجفر الذي ذكره الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه))أ.هـ.

ينقل الأثيم عن مصادر الرافضة الأنجاس والسحرة المشعوذين كلاما غير مفهوم ، ويلصقه بالتبليغ وأهله ، فياسبحان الله ! كيف خفى على الأستاذ على بن نايف الشحود مثل هذا الأمر ثم ينقله ويجمعه فى موسوعة البحوث والمقالات ؟! إما إنه لم يقرأ تلك المقالات وهمه جمع

أكبر عدد منها ! وإما انه قرأها وما فهمها ! أو قرأها وفهمها وعلم أنها كذب ومع ذلك نشرها ، والعلم عند الله تعالى .

وكتاب الجفر ينسب كذباً وزوراً إلى الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تارة وإلى جعفر الصادق تارة أخرى ! وهو من مصادر الشيعة الأصليه المعتمده .

ولم يذكر أحد التبليغيين قبل أن هذا الكتاب ولا سابقه من مصادرهم أو من مراجعهم ! فلا كتاب (الجفر) ولا (شمس المعارف الكبرى) كتابا موثقا ولا حتى غير موثق لأهل التبليغ ولا لعلماءه . ولو استطاع أحد الكذابين أن يعثر على كلمة من مثل ما افترى على التبليغ من كلامهم لشهر عليهم وكتب فيهم أشعارا !

محاولة الجهول التبرير والتحليل بلا مبرر ولا دليل :

وإذا قرأت ما نقله لتعجبت كثيرا من تلك الطلاسم غير المفهومه التى يسوقها الجهول على قاذورات فهمه وأوساخ فكره .

فقال ناقلا عن الجفر : (وذلك أسماء والقصد بهذه الأسماء إنما هو عددها ومعرفة تكسيرها في ضرب المبادئ بالأصول ، ولم أوضح لك أكثر من ذلك ، وإنما ذكرت هذه الرموز لكي يكمل كتابي هذا ويفوق غيره من الكتب ، والطريق إلى مكة كما بينا ، وهذه الرموز الجفرية الموضوعة الأصلية) أ.هـ.

فقوله (وذلك أسماء والقصد بهذه الأسماء إنما هو عددها ومعرفة تكسيرها في ضرب المبادئ بالأصول) ابتداع واختراع لا سابق له ، ولا معنى له .

ثم يقول (ولم أوضح لك أكثر من ذلك ، وإنما ذكرت هذه الرموز لكي يكمل كتابي هذا ويفوق غيره من الكتب ، والطريق إلى مكة كما بينا ،) ولا ندرى كيف لم يوضح لنا لنفهم ، أيريد تعجيزنا أم تعنيتنا ؟!

ولا ندرى لماذا يورد تلك الطلاسم غير المفهومة مع أنه لم يشرحها ولم يفسرها ثم يريد لكتابه أن يفوق غيره ؟!

وبالفعل فاق كتابه كتب غيره وصار مقدما فى معرفة علوم السحر والشعوذة وتعلم الكفر وتأصيل الرفض ونشر التشيع ! فنسأل الله أن يجزيه بما يستحق .

محاولة الكاتب المفتري تحليل ما لا يفهمه وإلصاقه بفعل السحرة والمشعوذين :

ثم يقول : (وهذه الرموز الجفرية الموضوعة الأصلية " بسم ال ل ه الرحمن الرحي م شعيب سميع شيت حرقيل قابيل طوس دمياط نابلس طرابلس طرطوس حلب حمص ودمشق تفارقا احر مواد محمد أحمد موسى إلياس يوسف محمد المهدي الملك المبين الله وكيل ... ") أ.هـ.

وكما ترى رموزا لا معانى لها وحروفا مقطعة لا فائدة من تقطيعها سوى إرادة الشياطين وتطبيق السحرة لما يريدون ، وكذا كل كلمة من موضوع ومن الشرق والغرب ، ولا يعلم معناها ولا المراد منها بعد الله سوى كاتبها الساحر المشعوذ .

ثم يقول : (ثم قال في آخرها وكل هذه قواعد كلية لو أبصرت كل فتنة أو واقعة وقعت لوجدتها على هذا الحساب وهذا المعنى لا يختلف ابدا) أ.هـ. ولا نعلم من أين علمه بهذه القواعد ؟!

هل يوحى إليه أم يتنزل عليه ناموس من السماء ؟!

أم أن الشياطين توحى إليه ؟!

ثم يتبجح الضال ويقول لو أبصرت كل فتنة أو واقعة لوجدتها على هذا الحساب ، ويكأنه يعلم الغيب قبل وقوعه أو أوحى إليه بما سيقع كما كان يحدث للأنبياء عليهم السلام ! وزعم أحد الثنتين كفر بالله العظيم ، نعوذ بالله تعالى من أليم عقابه .

والأدهى من ذلك ما يدعيه الكذوب المجهول صاحب المقال من أن أهل التبليغ يعتقدون فى تلك الكلمات المفرقة كذا وكذا ! مما لا دليل عليه مطلقا .

تفسير صاحب الفهم السقيم وافتراءه على الأبرياء بلا حجة ولا برهان :

فيقول الأثيم : (وتفسيرهم لهذه النبوءة أن : إلياس هو الشيخ محمد إلياس الكندهلوي مؤسس جماعة التبليغ في الهند، ثم يوسف هو الشيخ محمد يوسف ابن المؤسس وخليفته في إمارة الجماعة، ثم محمد وإنه الشيخ إنعام الحسن وبعده يأتي المهدي الذي ينتظرونه.)أ.هـ.

ولا ندرى من أين حصل هذا الكاذب على هذا التفسير ، فهلا وضح لنا مصدر كلامه ؟!

ولا نعلم من أباح له بهذا السر العظيم الذى نال به شر السبق وفى صحيفة سيئاته كل من ردده وكرره وحفظه ودعا له وروجه ! فهلا أعلمنا عمن نقل هذا التفسير ؟!

وهل أى ثلاث كلمات متتاليات وافقن ثلاث أحداث مشابهات لتلك الكلمات يدل على أن هناك رابط بينهما يجب حمل الثانى وربه بالأول ؟!

أى عقل هذا وأى فهم هذا ؟

وهب مثلا أن القاعدة مستقيمة وأن مشايخ التبليغ يعتقدون ما فى كتاب السحر والشعوذة الذى ألف قبل ولادة شيخهم إلياس بثمانية قرون وساروا على ذلك خمسين عاما ، ثم بعد ذلك تبين لهم كذب تلك النبوءة ، فهم الان على مفرق طرق هام ،فبعدما مات ثالث أمراءهم وهو إنعام الحسن فإما أن يعترفوا بأن عقيدة مشايخهم السابقين كانت باطلة وقد مات إنعام الحسن ولم يظهر المهدى أميرا لجماعتهم وهنا يلزمهم البراءة من عقيدتهم السابقة تلك ، أو يظلوا على عقيدتهم هذه بأن المهدى سيظهر بعد موت إنعام الحسن ولذلك لم يعينوا أميرا لجماعتهم بعده وجعلوا الأمر شورى فيما بينهم !

ونحن هنا نتبرأ من تأويل هذا الكاتب وتفسيره المخترع لهذه الطلاسم المجهولة المعنى ! ونبرىء ساحة اهل التبليغ من هذا ، فما سمعنا بكلام من أهل الدعوة يشبه كلامه من قبل ، وما تطرق أحد من التبليغيين إلى قضية المهدى المنتظر أصلا ، وهب مثلا أن كاتبا منهم كتبها ،

فهنا نحاكم هذا الكاتب بعينه إلى الكتاب والسنة ونرده إليهما ، ولا نحكم على منهج الدعوة كله بهذه الفرى والأكاذيب ،

فمثل هذا الكاتب كذب ثم كذب ثم صدق نفسه ثم أنشأ محكمة وزعم أنها عادلة كان هو فيها الجلاد والقاضى ليحكم على التهمة التى وجهها هو للقوم ! فياسبحان الله .

ولا يفوتنا أن نطلب من الكاتب أن يأتينا بما يدلل به على صحة كلامه وإن لم يفعل فهو كذاب أشر مفتر ظالم ، نحاجه على كلامه هذا عند الله تعالى وسنقتص منه بين يدى المولى جل وعلا .

محاولة المفتري لي أعناق الحوادث لتدخم فكرته الابتكارية :

ثم يكمل الأثيم افتراءه بقوله : (ثم توفى إنعام الحسن ولم يأتي المهدي ، فرفضوا تعيين أميرا بدلا منه تصميما على هذا الإعتقاد، ولذلك عينوا مجلسا استشاريا جماعيا مكونا من مجموعة من مشايخهم خلفا لإنعام الحسن، وذلك انتظارا للمهدي الصوفي التبليغي المنتظر .
ولهم ممارسات كثيرة غير هذة تدل على هذا الإعتقاد لا حاجة لذكرها هنا.) أ . هـ .

ونكرر هنا تعجبنا من مصدر المعلومة الجديدة التى حصل عليها هذا الكاتب بأن التبليغيين رفضوا تعيين أمير بعد وفاة الشيخ إنعام الحسن تصميما على هذا الاعتقاد ! ونقول له أيها الكاذب ، أثبت لنا مصدر كلامك من كلام أو كتابات أو صوتيات أو مرئيات مشايخ التبليغ بهذا الصدد ، وإن لم تفعل فأنت كاذب ولا يصدقك إلا كاذب مثلك .

وأما قولك لهم ممارسات كثيرة غير ذلك ، فهل ذكرت ممارسات أصلا التى عنيت بها قولك (ذلك) لتتحفظ ولا تذكر الغير ؟!

أنت تراوغ وتكذب ولا تصرح بما تريد قوله ، غاية أمرك تريد التشنيع على القوم ولا تجد دليلا أصلا فترميهم بما ليس فيهم وتقول الأدلة فى ذهنى ! فارنا تلك الأدلة يا فهيم .

ومن أعاجيب أفعالك أن قلت فى الهامش فور نقلك من كتاب شمس المعارف : ((16) ... ص342-343 والكلام الذي نقلناه أخذناه بالحرف فلا يظنن أحد أنه خطأ مطبعي.) ظنا منك أن تأكيدك على عدم تحريف اللفظ من المصدر المشئوم مثبت لمناط الكلام ! وهذا قمة الجهل ، فهل يسوغ لى أن أنقل أى كلام من أى مرتد ثم أزعم أنك تعتقده بلا بينه ولا برهان ولا دليل منك ؟! وهل إن قلت انا مقولتك هذه : (والكلام الذي نقلناه أخذناه بالحرف فلا يظنن أحد أنه خطأ مطبعي.) بشافع لى أو بدليل يعضد نقلى ؟!

كلا يأأستاذ ، فهذا يدل على جهلى ، لأننى لم أثبت الأصل أصلا ، ثم أقسم بالأيمان الغلاظ أن الفرع ثابت . والله المستعان .

كشف زيف أباطيل المفتري في فرية نبوءة المهدي المنسومة لحركة التبليغ :

إننا نبرأ إلى الله من كل ما نسبه هذا الأثيم للجماعة المباركة المتحركة لنشر الدين والدعوة في العالم كله ، ونؤكد أن منهج الدعوة بريء من الجفر وشمس المعارف ومن كل باطل يخالف صحيح الكتاب والسنة. وسيبقى هذا المفتري ومن ردد وراءه رهيناً بكذبه أمام الله، وسنختصم بين يدي من لا تضيع عنده المظالم.

وقد تعودنا أن يطل علينا بين الحين والآخر من يتخذ من الكذب مطية لتمرير أباطيله، ومن الافتراء منهجًا يعمي به على مريديه ومتبعيه ، ليرمي البرآء بطوامٍ مهلكات وبدع مكفرات، مستخفًا بعقول القراء، وضاربًا بعرض الحائط أمانة الكلمة. وإن من أعجب ما قرأنا ما سطره أحد هؤلاء المفتريين -عامله الله بعدله- حين زعم كذباً وزوراً أن مشايخ حركة التبليغ يعتقدون بنبوءة سحرية، مستقاة من كتاب الكفر والخرافة شمس المعارف الكبرى، تزعم أن المهدي المنتظر سيتولى قيادة الجماعة بعد وفاة الشيخ إنعام الحسن رحمه الله !.

خلط الأوراق وسوء الاستدلال :

إن المتأمل في هذه الفرية التي نسجها هذا المفتري يدرك من الوهلة الأولى أنه سقط في هوة الجهل المركب، ووقع في فخ خلط الأوراق وسوء الاستدلال بشكل يثير العجب؛ إذ كيف لعاقل يحترم عقله وقراءه أن يجعل من كتاب شمس المعارف الكبرى للبوني مرجعاً أو مستنداً لعقيدة جماعة لم تظهر للنور إلا قبل سبعين عاماً، بينما مؤلف الكتاب قد فارق الحياة قبل أكثر من ثمانية قرون؟ إن هذا الربط المتكلف يوهم السامع وكأن القوم قد طووا الزمان أو استنطقوا القبور ليأخذوا عقيدتهم من ساحر مخرف ومشعوذ هلك قبل مئات السنين، فالبوني صاحب الطلاسم والشركيات لا يمت لأهل الدعوة بصلة، بل إن جلّ أبناء الجماعة لا يعرفون اسمه فضلاً عن أن يطالعوا كتابه الذي هو محض كفر وضلال، فبأي منطق يُحاكم منهج دعوي معاصر بكلمات من كتاب شمس المعارف أو كتاب الجفر الرافضي؟

والحقيقة الناصعة أنه لا توجد أدنى علاقة بين أهل التبليغ وبين تلك المصادر التي اعتمدها الناقد المفتري، بل إن التباين الزمني الشاسع والفجوة التاريخية التي تمتد لثمانمائة عام كفيلة بهدم هذا البنيان الكرتوني من أساسه، ناهيك عن التناقض المنهجي التام؛ فمنهج التبليغ يقوم على الأصول الستة والترغيب في فضائل الأعمال من خلال كتب الصحاح والسنن، بينما تقوم مصادر المفتري على علم الحروف والرموز الباطنية التي يحذر منها علماء الجماعة ويعدونها من الخرافات الصارفة عن العمل الصالح.

ثم إن تزييف الحقائق والتقول على الغيب الذي مارسه هذا الكذاب من خلال محاولة ليّ أعناق الطلاسم المجهولة لتوافق أسماء مشايخ الجماعة (إلياس، يوسف، محمد) هو محض دجل وتلفيق، فهذه الأسماء من أكثر الأسماء شيوعاً في الأمة، ومحاولة إسقاطها على واقع الجماعة هو استخفاف مفضوح بالعقول، غرضه الوحيد هو التشنيع على البرآء بصبغة الباطنية والسحر دون تقديم دليل واحد من كتب القوم أو مجالسهم. ومما يبعث على الأسى أن تروج هذه الأباطيل في موسوعات ومجلات يُظن بها الإنصاف، لتصبح كحاطب ليل يجمع الشوك والسموم وينسبها للدين والدعوة، بينما الواقع يشهد أن أهل التبليغ لم يذكروا هذه الكتب في ورد ولا صدر، ولم تكن يوماً ضمن مراجعهم أو اهتماماتهم، وما هي إلا فرية اختلقها كذاب

أشر، ليحاكم القوم في محكمة من أوهامه، نصب نفسه فيها قاضياً وجلاداً بناءً على تهمة هو من اخترعها وألبسها ثوب الحقيقة زوراً وبهتاناً.

تزييف الحقائق والتقول على الغيب :

ثم يمضي هذا الكذاب في غيه، لينقل طلاسم من كتاب الجفر -المنسوب زوراً لعلي بن أبي طالب وجعفر الصادق رضي الله عنهما، وهو من مراجع الرافضة- ثم يسقطها بتعسف مضحك على أسماء مشايخ الجماعة. فيدعي أن إلياس المذكور في الطلاسم هو الشيخ محمد إلياس، وأن يوسف هو ابنه، وأن محمد هو الشيخ إنعام الحسن!

ونحن نتساءل: من أين جاء بهذا التفسير الباطني؟ ومن الذي أباح له هذا السر الذي لم ينطق به شيخ تبليغي قط، ولم يُسطر في كتاب من كتبهم، ولم يُسمع في مجلس من مجالسهم؟ إنها محض أوهام نسجها خيال الكاتب المريض ليقذف بها الأبرياء.

ثم يمضي هذا الكذاب في غيه ليمارس (تزييف الحقائق والتقول على الغيب) من خلال محاولة ليّ أعناق الطلاسم المجهولة والمنسوبة زوراً لآل البيت في كتاب الجفر، ليسقطها بتعسف مضحك على أسماء مشايخ الجماعة، فيدعي أن إلياس المذكور في تلك الخرافات هو الشيخ محمد إلياس، وأن "يوسف" هو ابنه، وأن "محمد" هو الشيخ إنعام الحسن، ونحن نتساءل بإنصاف: من أين جاء بهذا التفسير الباطني؟ ومن الذي أباح له هذا السر الذي لم ينطق به شيخ تبليغي قط، ولم يُسطر في كتاب من كتبهم، ولم يُسمع في مجلس من مجالسهم؟ إنها محض أوهام نسجها خيال الكاتب المريض ليقذف بها الأبرياء، مدفوعاً بخصومة فاجرة أعجزته عن النقد العلمي، فلجأ إلى (الافتئات على القوم بما لم ينطقوا به) ومحاولة اغتيالهم معنوياً بربطهم بمصادر مشبوهة، ليخلق حاجزاً نفسياً لدى القارئ العام يوهمه بأن الجماعة تتبنى عقائد سرية أو باطنية.

والحقيقة أنه لا توجد أدنى علاقة بين أهل التبليغ وبين تلك المصادر، بل إن (التناقض المنهجي التام) يثبت براءة الساحة؛ فمنهج التبليغ يقوم على الأصول الستة والترغيب في فضائل الأعمال من خلال كتب الصحاح والسنن، بينما تقوم مصادر المفتري على علم الحروف والرموز التي يحذر منها علماء الجماعة ويعدونها من الخرافات الصارفة عن العمل الصالح، ومما يبعث على

الأسى أن تروج هذه الأباطيل في موسوعات ومجلات يُظن بها الإنصاف، لتصبح كحاطب ليل يجمع الشوك والسموم وينسبها للدين والدعوة، بينما الواقع يشهد أن أهل التبليغ لم يذكروا هذه الكتب في ورد ولا صدر، وما هي إلا فرية اختلقها كذاب أشر، ليحاكم القوم في محكمة من أوهامه، نصب نفسه فيها قاضياً وجلاداً بناءً على تهمة هو من اخترعها وألبسها ثوب الحقيقة زوراً وبهتاناً.

جهل الكاتب بمفهوم الأمير وشورى الجماعة:

إنَّ المتأمل في شأن هذا المفتري يدرك أنه لم يقف عند حدود الجهل بالعقيدة، بل تجاوزها إلى (الجهل بمفهوم الأمير وشورى الجماعة) وسوء الفهم للنظم والاصطلاحات الشرعية؛ حيث عمد إلى تفسير مصطلح الأمير في السنة المطهرة -الذي يعني المسؤول عن تنظيم شؤون المسافرين أو المجموعات الدعوية- وصرفه إلى مفهوم القيادة الدنيوية بمضامينها السياسية أو السلطوية، ثم تمادى في غيه ليدعي كذباً أن الجماعة رفضت تعيين أمير بعد وفاة الشيخ إنعام الحسن حضرة جي انتظاراً لمهديهم المزعوم، والحقيقة التي يعلمها القاصي والداني أن الجماعة قامت منذ يومها الأول على (الشورى والتدبير التنظيمي البحت) الذي لا صلة له من قريب أو بعيد بنبوءات الخرافة أو انتظار الغائب، فما توزيع المهام في مجلس استشاري إلا إجراء إداري تفرضه مصلحة الدعوة وتغير الأحوال، وهو مماثل لما تفعله سائر الهيئات والمؤسسات الإسلامية حين ترى أن العمل الجماعي الشوري أوفق لمقاصدها في مرحلة ما.

إن محاولة الكاذب صبغ هذا الإجراء التنظيمي بصبغة النبوءة السحرية ليوهم الناس بضلال القوم هي محض (افتراء وتزييف للحقائق) لا يستند إلى دليل واحد من أقوال علماء الجماعة؛ إذ لم يثبت قط، ولا مرة واحدة في حياة أي من مشايخ التبليغ أو في مؤلفاتهم، أنهم ربطوا بين نظام الشورى وبين أي معتقد غيبي أو انتظار لمهدي، فكل ما استند إليه المفتري ليس سوى مصادفات قدرية واهية بنى عليها قصوراً من الأوهام، مستغلاً تشابه أسماء أو أحداث لا رابط بينها إلا في خياله المريض، ليخرج بنتيجة باطلة مفادها أن القوم يتبعون طلاسم البوني أو الجفر، وهي كتب يبرأ منها أهل التبليغ جملة وتفصيلاً.

إن هذا (التقول على الغيب والافتئات على البرآء) يكشف عن منهجية فاسدة لدى الكاتب، تقوم على اختراع التهمة ثم البحث لها عن مسوغات، حتى لو كانت هذه المسوغات مستقاة من كتب السحر والشعوذة التي لا يعرفها جلّ التبليغيين، فعدم تعيين أمير فردي في فترة ما كان محض (مصادفة تنظيمية تفرضها الشورى) وليس معتقداً ينتظر ظهور شخص بعينه، ولو كان عند هذا المفتري ذرة من أمانة علمية أو إنصاف شرعي، لجاء بنص واحد صريح من كلام القوم يثبت ما ذهب إليه، ولكنه آثر ركوب مركب الكذب والتشنيع، ليحاكم نظاماً إدارياً إسلامياً بمقاييس باطنية منحرفة، غرضه منها تنفير القلوب عن دعوة تقوم على التوحيد وفضائل الأعمال، فباء بإثم كذبه وتحمل وزر بهتانه، والله المستعان على ما يصفون.

مجلس شورى مشايخ التبليغ في مصر بعد الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله :

إن ما حدث في مصر بعد وفاة الشيخ إبراهيم عزت -رحمه الله- يمثل برهاناً ساطعاً يفند ترهات هذا المفتري، ويؤكد (الجهل بمفهوم الأمير وشورى الجماعة) وسوء الفهم للنظم التنظيمية التي تتبعها حركة التبليغ؛ فعندما انتقل الشيخ إبراهيم إلى رحمة الله، لم تسارع الجماعة إلى تعيين أمير فردي يخلفه، بل آثروا الانتقال إلى نظام (الشورى الجماعية) من خلال تشكيل مجلس استشاري مكون من سبعة من كبار المشايخ، وقد مضت السنون وقضى هؤلاء الأعلام نحبهم واحداً تلو الآخر حتى لم يبقَ منهم اليوم إلا الشيخ حسن نصر -حفظه الله-، فهل يجرؤ هذا الأثيم على ادعاء أن هذا الترتيب التنظيمي كان انتظاراً لمهديٍ مزعوم أو تطبيقاً لطلاسم البوني؟ بالطبع كلا، بل هو محض (تدبير تنظيمي بحت) تفرضه مصلحة الدعوة وتغير الأحوال بما يضمن استمرارية العمل وبقاءه بعيداً عن الفردية، وهو ما يثبت أن الجماعة قامت على (الشورى والتدبير) لا على الأوهام الباطنية.

إن محاولة الكاذب صبغ كل فعل تنظيمي بصبغة النبوءة السحرية هي (تزييف للحقائق وتقول على الغيب) لا يستند إلى دليل واحد؛ إذ لم يُسمع من الشيخ إبراهيم عزت ولا من خلفائه في مجلس الشورى كلمة واحدة تربط بين نظامهم الإداري وبين غيبيات كتاب الجفر أو غيره من كتب الضلال، فكل ما يزعمه المفتري ليس سوى (مصادفات تنظيمية) واهية بنى عليها قصوراً من الأباطيل، مستغلاً أحداثاً إدارية عادية ليخرج بنتيجة باطلة تناقض صريح المنهج، فما كان

نظام السبعة في مصر إلا (مصادفة تنظيمية تفرضها الشورى) كما كان حال الجماعة في الهند، ولو كان لهذا المفتري ذرة من إنصاف لعلم أن العمل الدعوي يتطور إدارياً وفق ما يراه أهله أوفق لمقاصد الشرع، لا وفق طلاسم السحرة والمشعوذين.

إن هذا (الافتئات على القوم بما لم ينطقوا به) يكشف عن خصومة فاجرة أعجزت الكاتب عن النقد العلمي، فلجأ إلى محاولة اغتيال الجماعة معنوياً بربطها بمصادر مشبوهة تنفر القلوب عنها، متجاهلاً أن واقع الجماعة في مختلف الأقطار -كمصر وغيرها- يشهد ببراءتها من هذه الأوهام، فتعيين مجلس شورى هو إجراء يهدف إلى جمع الكلمة وإحياء سنة المشاورة، وليس انتظاراً لشخص بعينه كما يهذي هذا الكذاب، وبناءً عليه فإن (التناقض المنهجي التام) بين أصول الدعوة القائمة على التوحيد وبين افتراءات الكاتب يقطع بأن ما سطرته يداه هو محض كذب أشر، أراد به التشنيع على البرآء، فباء بإثمه وحمل وزر بهتانه أمام الله والناس، والله المستعان على ما يصفون.

عتابنا على ناقلي الزور من غير تثبت :

ومما يدمي القلب أن تقع مجلات وموسوعات -يُفترض فيها التحقيق- في فخ هذا الدجل، فتنشر هذا الهراء دون تمحيص، فتصدق فيهم مقولة حاطب ليل الذي يجمع الشوك مع الشجر. فكيف يغيب عن هؤلاء أن الناقل عن السحرة والمشعوذين والرافضة ليضرب أهل السنة والدعوة هو فاتنٌ مفتون؟

إن مما يورث الحسرة في النفس، ويملأ القلب لوعةً وأسى، هو أن نرى سدنة الكلمة وحراس الأقلام ممن يُفترض فيهم التحقيق والتدقيق يقعون في فخ هذا الدجل المفضوح، فتفتح مجلات سيارة وموسوعات علمية -كان الأجدر بها صيانة جناب الحقيقة- أبوابها لنشر هذا الهراء دون أدنى تمحيص أو عرضٍ على موازين النقد العلمي الرصين، حتى صدق في هؤلاء الناقلين (وصف حاطب الليل) الذي لا يفرق في جمع حطبه بين الشوك الذي يدمي والسم الذي يقتل، وبين الشجر النافع الذي يثمر؛ إذ كيف غاب عن هؤلاء الذين يدّعون الإنصاف والموضوعية أن من يستقي مادة طعنه من كتب السحرة والمشعوذين، ويستنجد بخزعبلات

الرافضة وأساطيرهم ليضرب بها دعوة سنية وأهلاً للسنة، ما هو إلا (فاتنٌ مفتون) غلبه الهوى فأعماه عن جادة الصواب؟

إن هذا المسلك يمثل (تزييفاً للأمانة العلمية) وخيانةً للميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم والبيان، إذ كيف يُستحل عرض كذبٍ أشر يرمي الأبرياء بالباطنية والسحر بناءً على مجرد تخيلات كاتب أعجزه الدليل الشرعي فلجأ إلى طلاسم البوني؟ فهل صار (التقول على الغيب والافتئات على القوم) بضاعةً رائجة تُعرض في الموسوعات بدعوى النقد العلمي؟ إن سكوت المحققين والناشرين عن هذا الزيف، وتمريرهم لمثل هذه القاذورات الفكرية التي تربط نظام الشورى في الهند ومصر -الذي هو محض (مصادفة تنظيمية تفرضها المصلحة)- بنبوءات الجفر المزعومة، هو مشاركةٌ صريحة في الإثم، ودعمٌ معنوي لمنهج (الاغتيال المعنوي للدعاة) بأسلحة فاسدة ومصادر نجسة يبرأ منها كل موحد.

ويشتد العجب حين نرى هؤلاء الناقلين (يغضون الطرف عن التناقض المنهجي التام) بين أصول الجماعة القائمة على الكتاب والسنة وفضائل الأعمال، وبين تلك الافتراءات التي لا وجود لها إلا في خيال المفتري وكتب الدجالين، فوا أسفاه على زمنٍ يُقدّم فيه كلام الساحر البوني ليُحاكم به من يقضون أعمارهم في الدعوة إلى الله والتوحيد! إننا هنا نضع هؤلاء (الناقلين للزور من غير تثبت) أمام مسؤوليتهم الدينية والأخلاقية، ونذكرهم بأن الكلمة أمانة، وأن ترويج الأباطيل وتسويق الأكاذيب تحت ستار البحوث والمقالات لن يحميهم من الحساب بين يدي الجبار، حيث لا ينفع حينئذٍ اعتذارٌ بجهلٍ أو تذرعٌ بنقل، فبئس ما سطرت الأقلام وبئس ما حوى الجمع من شوكٍ أرادوا به طعن الصادقين، فما طعنوا إلا أمانتهم وما كشفوا إلا عن عوار منهجهم في التلقي والنشر، والله المستعان على ما يصفون.

فصل في بيان منهج أهل التبليغ والدعوة في مسألة المهدي المنتظر :

وتأسيساً على ما ذكرنا في بيان العلمي والشرعي السابق ، نوضح بجلاء أن عقيدة أهل التبليغ والدعوة في مسألة المهدي المنتظر ليست بدعاً من القول، ولا هي عقيدة مخترعة أو باطنية، بل هي ذاتها عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية التي تناقلها الأئمة جيلاً بعد جيل، حيث تتجلى وحدة المعتقد مع السلف الصالح في إيمان أهل التبليغ الجازم بما ثبت في صحيح السنة النبوية، وهو أن المهدي رجل من أهل بيت النبي ﷺ، من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما، يخرج في آخر الزمان ليكون علامة من علامات الساعة الكبرى، وهذا المعتقد هو ذاته الذي سطره الأئمة الأربعة (أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد) وقرره جهابذة المحدثين كالبخاري ومسلم في أصول ما نقلوه، وأثبته الفقهاء في مصنفاتهم عبر القرون. وفي هذا السياق يبرز مفهوم المهدي في ميزان الوحي لا الخرافة، إذ تبرأ الجماعة إلى الله من كل تأويل باطني أو رموز سحرية، مؤكدة أن عقيدتها تقوم على أن المهدي بشرٌ يُولد ويعيش، واسمه يوافق اسم النبي ﷺ (محمد بن عبد الله)، ومهمته شرعية محضة تهدف إلى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، كما أنه شريك في الملاحم الكبرى حيث ينزل في عهده عيسى بن مريم عليه السلام ويصلي خلفه إماماً، في إشارة صريحة لعز الإسلام ووحدة كلمة المسلمين. وتظهر هذه المنهجية بوضوح من خلال الاتباع وتقديم النص على الرأي، حيث تعلن الجماعة صراحة بأن الحديث حجة على كل من خالفه، فمن زعم في المهدي خلاف ما ثبت في الصحاح فإن كلامه مردود وفهمه داحض، وأهل التبليغ في مشارق الأرض ومغاربها يلهجون بذكر فضائل الأعمال المستقاة من مشكاة النبوة ولا يلتفتون لغير الوحيين في تقرير هذه المسائل العقدية الدقيقة، مما يثمر في النهاية البراءة من الانحرافات الطائفية؛ فخلافاً لما يروجه المرجفون، يرفض أهل التبليغ تماماً عقيدة المهدي الغائب أو المهدي السردابي أو المخلص السحري المستقى من كتب الجفر أو شمس المعارف، وينظرون للمهدي كحقيقة غيبية أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ دون غلوٍ يخرجه عن بشريته ودون جفاءٍ ينكر فضله ومكانه، ملتزمين في ذلك نهج الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، بعيداً عن كيد الكائدين وافتراء المفترين.

لم يثبت عن أحد من علماء أهل التبليغ ولا من عوامهم خلاف ما سبق :

يعد منهج أهل الدعوة والتبليغ من أكثر المناهج الإسلامية المعاصرة وضوحاً وبساطة، حيث يقوم في جوهره على الأصول الستة التي تستهدف إحياء الإيمان في القلوب، وحث المسلمين على تعظيم شعائر الله والتحلي بأخلاق النبي ﷺ وصحابته الكرام. وإن المتتبع لمسيرة هذه الجماعة منذ نشأتها في الهند يدرك تمام الإدراك أنها دعوة ترغيبية فضائلية تعتني بظاهر السنة والرقائق، وتبتعد تماماً عن الفلسفات العقدية المعقدة أو التأويلات الباطنية، فمرجعيتهم هي كتب الأحاديث المشهورة التي تحث على العمل والذكر، ولا وجود في أدبياتهم لمصطلحات السحر أو الجفر أو الرموز الغامضة التي يحاول المرجفون إلصاقها بهم زوراً وبهتاناً. وفيما يخص قضية المهدي المنتظر، فإن حركة التبليغ لم تتطرق يوماً في تاريخها الطويل إلى كون المهدي المنتظر سيكون من رجالها أو أنه سيتولى إمرة الجماعة وقيادتها، بل إن هذا الزعم ليس سوى تزييف للحقائق وتقول على الغيب واختلاق لتفسيرات باطنية لم تخطر ببال أحد من أهل الدعوة، فالجماعة تؤمن بما جاء في نصوص السنة الصحيحة حول المهدي كبقية أهل السنة والجماعة، لكنها لا تربط وجوده بكيانها التنظيمي، ولا تبني خططها الدعوية على انتظاره، بل تعتقد أن وظيفتها هي العمل والجهد لإصلاح الذات والمجتمع في كل زمان ومكان.

إن الأدلة العقلية القاطعة تؤكد بطلان نسبة هذه الأكاذيب لأهل التبليغ، وأول هذه الأدلة هو انعدام المصدر والبيان؛ فمن القواعد العقلية المستقرة أن المعتقد الجماعي لأي فئة لا بد أن يظهر له أثر في خطاباتها الرسمية أو كتب مشايخها المعتمدة، وبما أن حركة التبليغ تمتلك آلاف الساعات المسجلة من البيانات في أكبر تجمعات الأرض، ولم يُسمع فيها حرف واحد يشير إلى هذه المهدوية المزعومة، فإن العقل يحكم باستحالة وجود هذا المعتقد كعقيدة سرية في جماعة تقوم أصلاً على الجهر بالدعوة ونشرها بين العوام. ولو كان القوم يعتقدون ذلك لصرحوا به علانية من غير خوف ولا ريبة، خاصة وأن منهجهم يقوم على الصدع بفضائل الأعمال والسنن المهجورة، والمهدي في نظر أهل السنة ليس تهمة يخشاها المؤمن حتى يخفيها، بل هو بشارة نبوية يفتخر المسلم بانتظارها وفق ضوابط الشرع، فما الذي يدعو جماعة بملايين الأتباع إلى إخفاء فكرة لو كانت تؤمن بها حقاً؟

أما الدليل العقلي الثاني فهو التناقض الزمني والمنهجي؛ إذ كيف يُعقل أن تُبنى عقيدة جماعة ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري بناءً على طلاسم في كتاب شمس المعارف أو الجفر لمؤلفين هلكوا قبل قرون من تأسيسها؟ إن هذا الربط المتكلف الذي ساقه المرجفون بين نظام الشورى التنظيمي في الهند أو مصر وبين نبوءات موهومة في كتب السحر هو محض دجل وتلفيق، فموت مشايخ مجلس الشورى واحداً تلو الآخر وبقاء الشيخ حسن نصر وحده في مصر مثلاً، هو قدر إلهي وتدبير إداري عادي يقع في كل مؤسسة، ولا يستسيغ عقل سوي ربطه بكتب السحر إلا إذا كان صاحب هذا العقل يريد إشعال نار الفتنة. وبناءً عليه، يظهر جلياً انعدام الدليل على تلك الافتراءات، وأن منهج التبليغ بريء من هذه الترهات براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وأن براءة ساحة أهل الدعوة هي حقيقة ناصعة كشمس النهار، وما تلك الأكاذيب إلا محاولة لاغتيال الجماعة معنوياً عبر وصمها بالباطنية لتنفير الناس منها، بعيداً عن أمانة الكلمة ومعايير الإنصاف الشرعي.

محاولات مداخلة السلفية العصرية اختلاق الأكاذيب ونشرها :

تُعد الفرية التي رُميت بها حركة التبليغ والدعوة مثالاً صارخاً على الانحدار الأخلاقي والمنهجي الذي قد يصل إليه الخصوم حين تسيطر عليهم نزعة التبديع والتجريح، خاصة من قِبل غلاة المداخلة الذين اتخذوا من الطعن في المصلحين ديدناً وسبيلاً. إن العقل السويّ والمنطق الشرعي يأبيان قبول تهمة بهذا الحجم—تتمثل في اعتقاد نبوءات سحرية وربطها بالمهدوية—دون وجود نص واحد صريح أو بيان جليّ صادر عن علماء هذه الجماعة أو مسطر في كتبهم المعتمدة. فمن الناحية العقلية، كيف يُمكن لجماعة يبلغ أتباعها الملايين وتنتشر في أصقاع الأرض ولها مجالس مشهودة وبيانات مسجلة بآلاف الساعات، أن تُخفي عقيدة مركزية كهذه دون أن ينطق بها لسان أو يزلّ بها قلم؟ إن سكوت الواقع المطبق عن هذه الدعوى هو أعظم برهان على كذبها، إذ إن المعتقدات الجمعية لا بد لها من ظهور وانتشار، وما يروجه هؤلاء ليس سوى محض اغتيال معنوي للدعاة عبر اختلاق قصص باطلة وتدشين محاكمات وهمية بناءً على ظنون فاسدة لا تسمن ولا تغني من جوع.

أما من الناحية الشرعية، فإن منهج هؤلاء الطاعنين يصطدم مباشرة بالأصول القرآنية التي تنهى عن قفو ما ليس للإنسان به علم، وتُحرم قذف المؤمنين بما لم يكتسبوا. فالبينة شرعاً تقع على عاتق المدعي، والقاعدة المستقرة هي البراءة الأصلية، ولا يجوز نقل المسلم من دائرة السنة إلى دائرة البدعة والشرك بمجرد أوهام نسجها خيال كاتب مريض استنبط طلاسمه من كتب السحرة كشمس المعارف ليلصقها بأهل التوحيد. إن هؤلاء الغلاة يتلمسون العثرات ويقلبون الأمور التي لا عيب فيها إلى منقصة، فيجعلون من نظام الشورى الإداري الذي اتبعته الجماعة في الهند أو مصر دليلاً على انتظار المهدي، وهو ربط متكلف ينم عن جهل مركب وضلال بعيد، إذ إن تفسير النظم الإدارية بتفسيرات باطنية هو منهج الرافضة والملاحدة، وليس منهج أهل السنة والجماعة الذين يبنون أحكامهم على الظواهر والقرائن الصحيحة لا على الرجم بالغيب والتكهنات الصبيانية.

إن الخطورة في نهج هذه الفرقة الغالية تكمن في استباحة أعراض العلماء والمصلحين تحت ستار الجرح والتعديل، بينما هم في الحقيقة يمارسون نوعاً من الإرهاب الفكري الذي يمزق جسد الأمة. فكيف يقبل عقل مسلم غيور أن يُجرح إمام أو مصلح بشهادة مجهول أو بتقرير كاذب لم يراعِ أمانة النقل ولا شرف الخصومة؟ إن المداخلة بسلوكهم هذا قد سدوا أبواب الخير على الكثيرين، ووجهوا سهامهم نحو الداخل الإسلامي تاركين أعداء الملة الحقيقيين، بل وصار الكذب لديهم وسيلة لتنفير الناس عن كل من خالف طريقتهم الضيقة في التفكير. إن العقل يحكم بأن من عُرف عنه الغلو في التبديع وسهولة التكفير والتفسيق هو شخص ساقط العدالة في ميزان النقد، لأن خصومته الفاجرة تمنعه من رؤية الحق، وتدفعه للَيّ أعناق النصوص والحوادث لتوافق هواه في إسقاط الآخرين، مما يجعل كلامهم في الدعاة والمصلحين لغواً لا قيمة له في موازين العلم والتحقيق.

وبناءً على ما سبق، يظهر أن هذه الفرية لم تكن لتجد رواجاً لولا وجود مناخ من التشدد والإقصاء الذي يقتات عليه هؤلاء، حيث يُصار إلى محاكمة النوايا والضمائر بدلاً من محاكمة الأقوال والأفعال. إن زعمهم بأن أهل التبليغ يعتقدون في المهدي التبليغي هو قول على عواهنه يفتقر للزمام والخطام، فلم يسمِ القائل رجلاً واحداً من مشايخ التبليغ تبنى هذا القول، ولم يذكر

مرجعاً واحداً يثبت هذه الفرية. إن هذا المنهج التضليلي يعتمد على تجهيل القارئ وإيهامه بأن هناك أسراراً خفية، بينما الحقيقة أن حركة التبليغ هي كتاب مفتوح أمام العالم، ومنهجها في الفضائل والترغيب أبعد ما يكون عن هذه الخزعبلات الباطنية. إن براءة أهل الدعوة من هذه التهمة هي براءة ثابتة بالأصل والواقع والمنطق، وسيبقى كيد المفترين حجة عليهم يوم القيامة حين يقفون بين يدي الله ليسألهم عن كل كلمة بهتان رمو بها عباده المؤمنين.

ونصيحتنا للقراء بالتثبت والتحري، يا معشر القراء والباحثين عن الحق، إن دينكم هو أغلى ما تملكون، وإن أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، فإياكم أن تكونوا مطية لكل كذاب أشر أو بوقاً لكل مفترٍ يستحل الغيبة والبهتان باسم الدين. إننا في زمن كثر فيه الدجل الفكري، وتصدر فيه المجالس من لا حظ له من العلم إلا لسان ذلق وقلب مشحون بالغل، خاصة من متحدثي هذه الفرقة التي غلت في التبديع والتجريح؛ فمتى رأيتم الشخص ديدنه الطعن في كبار العلماء، وشغله الشاغل تتبع السقطات واختراع المثالب، فاعلموا أنه فاتن مفتون، فاستعيذوا بالله من شره ولا تلتفتوا لقوله، فإن من فسدت مرآة نفسه رأى كل الناس على ضلال، ومن استسهل الكذب على الأحياء لن يتورع عن تزييف عقائد الهالكين.

إن الواجب الشرعي يحتم عليكم التثبت قبل إصدار الأحكام، فالله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}، والفسق هنا ليس بالضرورة ارتكاب الكبائر الظاهرة، بل إن الكذب على الدعاة واختلاق العقائد الباطنية لهم هو من أعظم الفسوق وأشدها جرماً. فقبل أن تصدقوا ما يُقال عن أهل التبليغ أو غيرهم من الجماعات الإسلامية، ابحثوا في كتبهم هم، واستمعوا لعلماءهم هم، ولا تأخذوا عقيدة قوم من أفواه خصومهم الفجرة في الخصومة، فإن الخصم لا يؤتمن على صدق النقل ولا على نزاهة الفهم. كونوا نقاداً بصراء، ولا تجعلوا عقولكم وعاءً لفضلات الأفكار المسمومة التي تهدف لتفريق صفوف المسلمين وإضعاف شوكتهم لصالح أعدائهم.

بياننا لله تعالى ثم للتاريخ :

لقد بات من الواجب الشرعي والمنطقي، بعد هذا البيان الجليّ والتفصيل المستفيض، أن نضع حداً قاطعاً لتلك التخرصات التي حاولت النيل من جماعة التبليغ والدعوة عبر إلصاق فرية المهدوية الباطنية بها؛ فالحق أبلج والباطل لجلج، وما قدمناه من براهين عقلية ونقلية كفيلٌ بأن يرفع الغشاوة عن الأعين المنصفة، ويقطع الطريق على كل من سولت له نفسه استباحة أعراض المسلمين بغير حق. إننا نعلنها صراحةً أنه بعد صدور هذا التوضيح الناصع، لن يُقبل من كائنٍ من كان الاستشهاد بكلام غلاة التبديع والتجريح الذين اتخذوا من الكذب مطية ومن تزييف العقائد منهجاً، فهؤلاء الخصوم الذين يفتقدون لأدنى معايير الأمانة العلمية قد سقطت حجيتهم بظهور زيف مستنداتهم المستقاة من كتب السحر والشعوذة، ولا يصح في ميزان العقل أن يُحاكم أهل السنة والحديث بطلاسم البوني أو خزعبلات الجفر التي يبرأون منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

إن عقيدة أهل التبليغ، كما بينا وفصلنا، هي ذاتها عقيدة أهل السنة والجماعة والحديث والأثر، لا تخرج عنها قيد أنملة؛ فهم يؤمنون بالمهدي كما جاء في الصحاح والسنن، بشراً من آل البيت يملأ الأرض عدلاً، دون ربطه بكيان تنظيمي أو أوهام سردابية. وإن هذا التطابق التام مع ما عليه سلف الأمة وأئمتها عبر القرون ينسف كل محاولة لتصنيف الجماعة في خانة الفرق الباطنية أو المنحرفة. إننا لم نسطر هذه الكلمات دفاعاً عن أشخاص أو تحزباً لجهة، بل كتبناها لله أولاً ثم للتاريخ، قياماً بواجب البيان الذي أخذ الله ميثاقه على أهل العلم والمروءة، وإحقاقاً للحق في زمنٍ عزَّ فيه الإنصاف وكثر فيه المرجفون الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة.

ولقد كان الدافع الأسمى لهذا البيان هو قطع دابر الفتنة وحماية عقول الشباب الطامح والباحث عن الحقيقة من أن تتلوث بسموم الغلو والإقصاء؛ فسكوت أهل الحق عن بيان وتفنيد الأباطيل يُعد في حد ذاته فتنة تترك المجال فسيحاً للأكاذيب لتستقر في القلوب والعقول كأنها حقائق ثابتة. إننا بهذا الوضوح نضع بين يدي جيل الصحوة والمشتغلين بالدعوة مرجعاً يمنعهم من الانزلاق خلف متحدثي الفتن الذين يتلمسون العثرات ويخترعون المثالب، ليبقى باب الدعوة إلى الله مفتوحاً على بصيرة، بعيداً عن كيد الكائدين الذين يحاولون تمزيق وحدة الصف

الإسلامي بمعارك وهمية وأسلحة فاسدة، مؤكدين أن التثبت هو صمام الأمان، وأن العدل مع الخصم هو سمة المؤمن الحق.

فهذا المقال الشافي يضع النقاط على الحروف ويُنهي حقبةً من التضليل الممنهج ضد أهل الدعوة؛ فالبراءة الأصلية قد تأيدت بالواقع المشهود والمنطق المعقول، ولم يعد لمروج الشبهة من مستند سوى العناد أو الخصومة الفاجرة. فليتقِ الله من ينشر البهتان، وليعلم أن الكلمة أمانة والموعد القيامة، ولن يغني عنه غلوه ولا تجريحه شيئاً أمام جبار السماوات والأرض حين يُسأل عن كل مسلم رماه بما ليس فيه. لقد أدينا الأمانة وبينا الحقيقة، ليعيش الناس في أمان فكري، معتصمين بحبل الله المتين، مستمسكين بسنة نبيه الكريم، بعيداً عن أهواء الغلاة وتخرصات الدجالين.

الخاتمة :

وبعد أن وصلنا إلى هنا ، نحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين وبه تفرج الكربات، وعلى آله وصحبه الغر الميامين أهل الصفات، وبعد:

فيا أيها القارئ الكريم، اعلم حفظك الله أن الكلمة أمانة، وأن أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، فما أهون أن يطلق المرء لسانه بالبهتان، وما أثقل تبعات ذلك يوم العرض على الديان. إن التثبت والتحري ليس مجرد منهج عقلي، بل هو فريضة شرعية وصمام أمان للمجتمعات؛ فكم من فتنٍ أُوقدت بكلمة لم تُحقق، وكم من صروحٍ من الإصلاح هُدمت بفريةٍ لم تُدقق. إن الواجب على كل ذي لبٍّ ألا يحكم على أخيه المسلم بسماعٍ عنه، بل بالسماع منه، فمن العجز والجور أن تُستقى عقائد القوم من أفواه خصومهم الذين أعماهم الغلو وأصمّهم الهوى، وإنَّ من أوجب الواجبات الرجوع إلى أهل الشأن في شأنهم، وإلى أهل الدعوة في دعوتهم، فالحق لا يُعرف بالرجم بالغيب، ولا بالاعتماد على مجهولي الحال من المتشددين.

لقد دفعنا لتسطير هذه الكلمات تلك الشبهة العظيمة التي رُميت بها حركة التبليغ والدعوة العالمية ، والتي زعم مروجها من غلاة المداخلة أن تلك الجماعة أو الحركة تعتقد بمهدويةٍ باطنية سحرية مستقاة من كتب الضلال كشمس المعارف و الجفر ، مدّعياً أن إمرتهم وتنظيمهم الإداري ليس إلا انتظاراً لمهديٍ مزعوم. وهي فريةٌ لا زمام لها ولا خطام، تفتقر لأدنى أثارة من علم أو دليل من كتب القوم وبياناتهم. وقد بينا في ثنايا هذا البحث أن هذا الزعم هو محض اختلاق وتزييف للحقائق، ومحاولة بائسة لليّ أعناق الحوادث والمصادفات التنظيمية لتوافق أوهاماً لم تخطر ببال أحد من أهل الدعوة، وإنما سُطرت هذه الحجج ذبّاً عن أعراض الموحدين، وحمايةً لعقول الشباب

من أن يتخطفها المرجفون الذين يستبيحون الغيبة والبهتان تحت ستار الجرح والتعديل.

وقد خلص هذا البحث بيقينٍ لا يخالطه شك إلى أن عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي المنتظر هي عقيدة قائمة على ما تواتر من صحيح السنة والآثار، بعيداً عن الغلو والجفاء؛ فالمهدي بشرٌ من عترة النبي ﷺ، يملأ الأرض عدلاً، وهو علامة غيبية يُظهرها الله تعالى في وقتها المعلوم، لا هي ملكٌ لجماعة ولا هي رهينةٌ لتنظيم. وقد أثبتنا بالدليل القاطع موافقة أهل التبليغ التامة لهذه العقيدة السنية الصافية، فهم يقررون في مجالسهم ما قرره الأئمة الأربعة والحفاظ والمحدثون عبر القرون، ويبرأون إلى الله من كل طلاسم سحرية أو تأويلات باطنية. إن نظام الشورى لديهم هو محض تدبير إداري مصلحي، لا صلة له بنبوءات البوني ولا بخزعبلات الجفر، وبذلك يبطل كل ما أُشيع عنهم من ترهات، وتظهر براءة ساحتهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام .

وإلى إخوتنا من السلفية المعاصرة الذين غلوا في مسالك التبديع والتجريح حتى أضحى الوقيعة في أعراض عباد الله ديدناً لهم، نتوجه إليكم بهذه النصيحة الصادقة من قلوب لا تحمل لكم إلا المودة، ولا تريد لكم وللأمة إلا الخير والرشاد؛ فاعلموا -سدد الله خطاكم- أنَّ الأصل الأصيل في هذا الدين هو اجتماع الكلمة ووحدة الصف، وأنَّ الأخوة الإيمانية رابطةٌ مقدسة لا ينبغي أن تمزقها الظنون أو تقطعها الأوهام، ونحن إذ نسطر هذه الكلمات، نؤكد لكم أننا لسنا في مقام عداوة معكم ولا مع أحد من المسلمين، بل نظن بكم الخير ونرجو لكم الهدى، ونؤمن بأنَّ القلوب إذا صفت وتجردت لله، تلاشت بينها حجب الجفاء. إنَّ المبالغة في تتبع العثرات، واستباحة الافتراء لتشويه صورة المصلحين والدعاة، هي مسالك تنهك جسد الأمة وتُضعف قوتها أمام المتربصين بها، فما أحوجنا اليوم إلى مراجعة النفس والعودة إلى رُشد الوسطية التي كان عليها

سلفنا الصالح حقاً، بعيداً عن حدة الألفاظ وقسوة الأحكام. إننا ندعوكم بدعوة الإسلام الجامعة أن تنضموا إلى سواد المسلمين الأعظم، وتمدوا يد التعاون والتآزر مع باقي إخوانكم من العاملين لدين الله، فالميدان يتسع للجميع والغاية واحدة هي نيل رضا الله تعالى ورفع لواء دينه، ولن يتحقق ذلك إلا بقلوبٍ سليمة وتواصٍ بالحق والرحمة، فعودوا إلى رحاب السماحة والرفق، لعلنا نجتمع جميعاً على حوض النبي ﷺ وقد برئت ذممنا من حقوق العباد وصفحت قلوبنا عمن أساء، طلباً لوجه الله ورغبةً فيما عنده من الثواب الجزيل.

وختاماً، إننا ما كتبنا هذا الكتاب إلا لوجه الله تعالى ثم للتاريخ، قياماً بمسؤولية البيان وقطعاً لدابر الفتنة، وليعلم المنصفون أن الحق أبلج، وأن منهج الدعوة بريء من كل باطل لجلج يخالف صحيح الكتاب والسنة. ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين عن الحقيقة، ويعصمنا وإياهم من الزلل في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه ، الراجي صلاح قلبه وعفو ربه الفقير إلى مولاه

أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي ، الأزهري المصري الشافعي السني .

21من أغسطس (8) 2017 ميلادي ، 29 من ذي القعدة (11) 1438 هجري

فهرس الموضوعات :